

المقنض في لهجات العرب

تأليف

الدكتور

محمد رياض كريم

كلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

حقوق الطبع والنشر محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين
سيدنا محمد النبي العربي الأمين.

وبعد

فإن البحث في اللهجات العربية وبيان خصائصها وسماتها لأمر
مهم في الوقوف على أصول اللغة العربية وجذورها، ومعرفة أسرار
تطورها، وأثر الأزمان والبيئات فيها، وإن كان البحث فيها أمراً ليس
سهلاً ميسوراً، إذ يكتنفه كثير من الصعوبات، لفقدان كثير من الكتب
التي ألفها القدماء وحملت عنوان اللغات، سواء منها ما تعلق باللغات
في القرآن الكريم أو باللغات عامة، ومنها كتب لأئمة اللغة، مثل
الأصمعي، وأبي زيد، وأبي عبيدة، ويونس، والفراء، وابن دريد،
 وغيرهم، فلم ينته إلينا من تراث القدماء دراسات مستفيضة مستقصية
 للهجات، تجمع متناثرها، وتضم متفرقها، وتلم شتاتها في مؤلف
 مستقل مع الشرح والتحليل لها، وعزوها إلي الناطقين بها من القبائل
 العربية القديمة، لذا على الباحث في اللهجات العربية القديمة أن يطالع
 كتباً كثيرة في فنون من العلم مختلفة، فيطالع كتباً في اللغة والأدب
 والتفسير والقراءات والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك، إذ ورد كثير من
 اللهجات متناثراً في بطون كثير من تلك الكتب، وقد تجد لهجة غير
 معزوة إلي أصحابها في رواية ما في كتاب، وقد تجد لها معزوة إلي
 أصحابها في كتاب آخر، ولهذا مطلوب من الباحث أن يسيح في الكتب
 سياحة واسعة، ولا يقصر جهده في البحث على بعض الكتب دون بعض،
 وما يؤكد ذلك ويؤيده أنه وقع لي نص في كتاب المزهري للسيوطي

يحتوى على ثلاث لهجات غير معزوة هو « قال ابن خالويه في شرح
الفصيح: أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : اختلف
رجلان في الصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فتحاكما
إلى أعرابي ثالث فقال : أما أنا فأقول : الزقر، بالزاي.
قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات (١).

وظلت هذه اللهجات الثلاثة لدى بلا عزو إلى أن وقع لى بأخرة
نص في كتاب ألف باء للبلوى معزوة فيه، ونصه : « جاء في الصقر من
قول الأصمعي اختلف رجل من مضر ورجل من ربيعة، فقال المضري:
السقر، وقال الربعي: الصقر، فأقبل رجل من قضاة فأخبراه، فقال : لا
أقول كما قلتما، إنما هو الزقر » (٢).

فاستبان لى أن السين لمضر، والصاد لربيعة، والزاي لقضاة.
وما يلقي بعبء ثقیل على الباحث في اللهجات العربية القديمة
أيضاً تلك الروايات المتناقضة والمتضاربة في تعريف الظاهرة اللهجية
ووصفها لنقص في استقرائها، أو بتر في نصوصها، أو تحريف في
أصلها، مما يجعل الباحث يحار في استخلاص الحقيقة العلمية لتلك
اللهجة، وخير مثال لذلك ما تجده في كتابنا هذا في حديثنا عن ظاهرة
النعنة.

ومالاشك فيه أن جمع اللغة المشتمل على جمع اللهجات على
الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها علماء اللغة القدامى لم يقم على
الاستقراء التام، فقد ضاع كثير من مفردات اللغة وأساليبها بسبب
الاستقراء الناقص في الجمع، وبسبب المقاييس الزمانية والمكانية

(١) الزهر: ١/٤٧٥.

(٢) ألف باء: ٢/٣٦٤.

المتشددة التى طبقها علماؤنا القدامى - رحمهم الله - فى جمع اللغة، حرصاً منهم على سلامتها وتوخياً منهم للحذر والحبطة من أن يدخل فى اللغة ما فسد منها أو شابه شبهة فساد، وتمكن من الألسنة بسبب الاختلاط بالأعاجم، لاسيما بعد انتشار الإسلام، ودخول كثير من الأمم فيه، ولذا كان قول أبى عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»^(١) فى غاية الصدق.

وإن البحث فى اللهجات العربية القديمة أيضاً يمكننا من حل كثير من المشكلات النحوية التى حاول بعض علماء النحو تخريبها على وجه من العربية مقبول ولا يخلو مثله من تكلف، ولا يعرى من تعسف، ولو خرج مثله على أنه لهجة قوم لبطلت تلك التأويلات المتكلفة، والتخريجات المتعسفة التى سلك سبيلها بعض النحاة، ومن ذلك تخريبهم قراءة قول الله عز وجل: (إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرًا) ^(٢) بتشديد نون إن.

فقد قيل: إن (إِنَّ) بمعنى نعم كما فى قول ابن الزبير - رضى الله عنهما - لرجل قال له: لعن الله ناقة حملتنى إليك: إِنَّ وراكبها. أى: نعم ولعن الله راكبها. وهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف، أى: لهما ساحران، والجملة خبر هذان، ولا يكون (لساحران) خبر (هذان)، لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ.

(١) الاقتراح للسيوطى: ص ٢٣.

(٢) طه/٦٣.

وقيل : إن الأصل إنه هذان لهما ساحران، فالهاء ضمير الشأن، وما بعدها مبتدأ وخبر، والجملة فى موضع رفع على أنها خبر إن، ثم حذف المبتدأ وحذف ضمير الشأن.

وقيل : إنه لما ثنى (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين، فمن قدر المحذوفة ألف هذا والباقية ألف التثنية قلبها فى الجر والنصب ياء، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

وقيل : إنه لما كان الإعراب لا يظهر فى الواحد وهو (هذا) جعل كذلك فى التثنية ، ليكون المثنى كالمفرد، لأنه فرع عليه^(١).

وقد نسب إلى بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وبنى العنبر وبنى هجيم وعذرة ويطون من ربيعة ويكر بن وائل إلزام المثنى الألف فى جميع أحوال إعرابه مخالفين فى ذلك جمهور العرب.

فلو خرجت هذه القراءة على لهجة هؤلاء لكان أولى، ولما كانت تلك الأقوال التى لم تخل من تكلف وتعسف.

ولذا جاء فى مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى أن الوجه الأقوى أنها لغة لبعض العرب^(٢).

ولذلك وجدنا بعض المنصفين من علماء اللغة يستند إلى تلك اللهجات مهما كان شأنها فى تصويب بعض الاستعمالات اللغوية التى يرفضها بعض اللغويين، كابن السيد الذى يعلق على تخطئة ابن قتيبة وبعض اللغويين لقول العامة : (ماء مالح) بقوله : «قول العامة لا يعد خطأ، وإنما يجب أن يقال : إنها لغة قليلة»^(٣).

(١) انظر : شرح شذور الذهب لابن هشام : ص ٤٨ ، ٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب : ٦٣٩/٢٠.

(٣) الاقتضاب : ٢٢٣/٢.

وكشهاب الدين الخفاجى الذي يقول تعليقاً على قول الخاصة :
(سُلتَ يداه) بالبناء للمجهول الذي يخطئه الحريرى فى درة الغواص فى
أوهام الخواص : « ما أنكره مسموع على رداءته، وكفى به سنداً لمن
استعمله »^(١). وسبقهما ابن جنى الذى يرى أن اللغات كلها حجة
ويقول : « وكيف تصرف الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب
مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه »^(٢).
وجاء فى الاقتراح للسيوطى نقلاً عن شرح التسهيل لأبى حيان أن
كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه^(٣).

هذا وإن البحث فى اللهجات العربية الحديثة يوقفنا على ما يرجع
منها إلى اللهجات القديمة ويمت لها بسبب، بل يمكننا من معرفة هجرات
بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية ومنازلها فى الأقاليم
المفتوحة التى انتشر فيها نور الإسلام وذلك لوجود بقايا الظواهر
اللهجية الخاصة بتلك القبائل فى تلك الأقاليم.

وعلى أية حال فإن دراسة اللهجات العربية دراسة لها ثمرتها فى
دراسة اللغة وأصولها.

هذا، وكتابنا هذا يتكون من سبعة فصول، تحدثت فى الفصل
الأول عن شبه جزيرة العرب لنقف على الوطن الأول لنشأة هذه اللهجات،
وفى الفصل الثانى تحدثت عن العرب والقبائل العربية حتى نقف على
أصحاب اللهجات العربية القدامى ومنازلهم، وفى الفصل الثالث تحدثت
عن أهمية دراسة اللهجات والصعوبات التى تواجه الباحثين فى

(١) شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى بتحقيقنا : ص ٢٢٠.

(٢) الخصائص لابن جنى : ١٢/٢.

(٣) الاقتراح : ص ٧٨.

اللهجات العربية القديمة وأصالة كلمة اللغة فى العربية وتفنيد دعوى من زعم أنها غير عربية، كما تحدثت عن اشتقاقها وتعريف القدماء والمحدثين لها، وتحدثت عن اشتقاق اللهجة وتعريفها وأهم الصفات الصوتية التى تؤدى إلى الخلف بين لهجات اللغة الواحدة، والعلاقة بين اللغة واللهجة والتوزيع الجغرافى للغة واللهجة، وأهم العوامل التى تؤدى إلى تفرع اللغة إلى لهجات، والعوامل التى تؤدى إلى التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة، وعناصر اختلاف النطق فى البلاد العربية ووسائل توحيده.

وفى الفصل الرابع تحدثت عن العربية البائدة والعربية الباقية وأوجه الاتفاق والافتراق بينهما، وتحدثت عن صراع لهجات العرب وتغلب لهجة قریش على غيرها من اللهجات والعوامل التى ساعدت على ذلك، وما استفادته من صراعتها معها، وناقشت رأى من زعم من الباحثين أن تفضيل القدماء للهجة قریش إنما يرجع إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم من قریش، ثم تحدثت عن نظرة القدماء للهجات واختلاف نظرهم لها باختلاف العصور والعوامل السياسية والاجتماعية.

وفى الفصل الخامس تحدثت عن مصادر الاحتجاج اللغوى ومقاييسه الزمانية والمكانية والقبلية عند علماء اللغة وناقشت دعوة إعادة النظر فى مقاييس الاحتجاج.

وفى الفصل السادس تحدثت عن مظاهر اختلاف اللهجات فتحدثت عن الإبدال ووقوعه فى الحروف والحركات وانضواء كثير من اللهجات القديمة تحته، وتحدثت عن مظاهر الاختلاف فى الإعراب بين اللهجات، وعن التردد بين الإعراب والبناء، والزيادة والنقصان

والاختلاف فى هيئة النطق، والتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والفك والإدغام. وقد حاولت الربط بين بعض اللهجات العربية القديمة واللهجات التى تجرى على ألسنة العامة اليوم فى المملكة العربية السعودية موطن العربية ولهجاتها القديم وفى مصر وغيرها من البلاد العربية، كما اجتهدت فى التوفيق بين الآراء المتضاربة فى وصف بعض الظواهر اللهجية مرجحاً ما أراه جديراً بالترجيح.

وفى الفصل السابع تحدثت عن ظاهرة المشترك اللفظى والتضاد والترادف لعلاقتها باللهجات العربية وقد صحت رأى أبى على الفارسى فى وقوع الترادف فى اللغة عما ورد فى بعض كتبه وأثبت أنه لا ينكر وقوع الترادف فى اللغة خلافاً لما شاع عنه.

والله أسأل أن يجعل هذا فى ميزان حسنات أعمالنا وأن يرزقنا دائماً التوفيق والسداد فى القول والعمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

د. محمد رياض السيد كورير

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

جامعة الأزهر

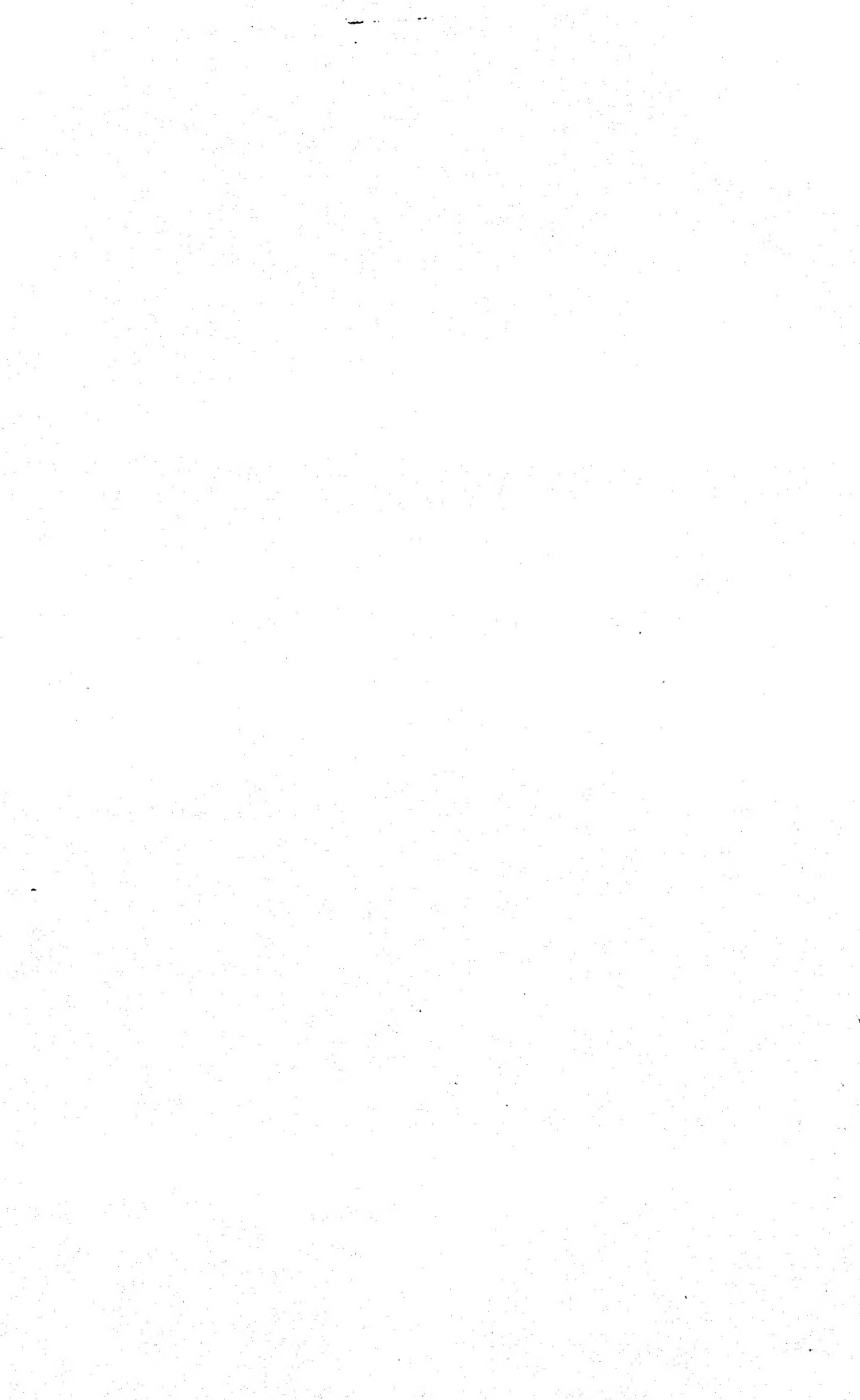
والأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

٢٠ من يوليو ١٩٩٦ م

محلة منوف فى يوم السبت

٤ من ربيع الأول ١٤١٧ هـ



الفصل الأول

شبه جزيرة العرب

مما لاشك فيه أن للبيئة والمكان أثراً واضحاً في حياة السكان وفي ألوان معيشتهم، كما يظهر هذا الأثر في ملامح الوجوه، ولون البشرة، وطريقة الأداء اللغوي، فكأن المكان كما يسم الوجوه والجسوم يسم الألسنة أيضاً بسمات خاصة، لذا كانت دراسة المكان الذي تحيا بين جنياته لغة من اللغات لها أهميتها، ولها فائدتها.

ولما كنا بصدد دراسة اللهجات العربية فإن إلقاء الضوء على شبه جزيرة العرب والقبائل العربية التي أقامت بها أمر مهم، لاسيما أن الدرس اللغوي الحديث يعتمد اعتماداً كبيراً على الجغرافيا اللغوية Linguistic Geography.

وارتباط دراسة اللهجات على وجه الخصوص بهذه الجغرافيا أصبح من القوة بحيث يقرر كارول Caroll أن هذا المصطلح قد تطور إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون الجغرافيا اللهجية Dialect Geography أو علم اللهجات Dialectology .

ولقد أبان شنيجر العالم السويسري عن أهمية هذا الفرع لدراسة العربية وتطورها بقوله : وبالنسبة للغة العربية نقول : إن القيام بعمل أطلس لغوي سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة السامية، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة في الأماكن المختلفة التي

غذتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد» (١).

والقبائل العربية التي عاشت في شبه الجزيرة العربية لم تجتمع كلها في مكان واحد في شبه الجزيرة، وإنما تفرقت في أنحائها، ومنها من عاش حياة مستقرة في الحضر، ومنها من عاش متنقلاً في البادية يطلب الماء والكلأ.

ولا ريب أن القبائل التي عاشت في البادية لها طرائقها الخاصة في الأداء اللغوي التي تختلف عن تلك التي لقبائل الحضر مما كان له أكبر الأثر في تعدد اللهجات العربية وخصائص تلك اللهجات. ومن هنا كانت دراسة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ضرورة لمن يتصدى لدراسة اللهجات العربية حتى يمكن التمييز في حدود إمكانات الدرس اللغوي بين لهجة نشأت في البادية ولهجة نشأت في الحضر.

موقع شبه الجزيرة العربية

تقع شبه الجزيرة العربية في الطرف الغربي لقارة آسيا وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين مسطحين مائيين كبيرين هما البحر الأحمر الذي كان يعرف ببحر القلزم غرباً وخليج عمان والخليج العربي شرقاً، ويقع إلى جنوبها البحر العربي والمحيط الهندي وإلى

(١) د. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية (نشر دار المعارف

شمال شبه الجزيرة يمتد الهلال الخصيب، ذراعه الشرقى الحوض الأدنى والأوسط لنهرى دجلة والفرات، وذراعه الغربى السهول الساحلية لشرقى البحر الأبيض المتوسط والسهول والوديان الداخلية لبلاد الشام. وقبل ظهور الإسلام كانت الإمبراطورية الساسانية تشغل الذراع الشرقى للهلال الخصيب، والإمبراطورية البيزنطية والرومانية تشغل الذراع الغربى له، هاتان الإمبراطورتان اللتان شبت الحرب بينهما وظلت سجالاً، يهزم الفرس مرة وأخرى يهزم الروم^(١).

أقسامها

قسمت شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هى :

(١) اليمن :

وهى فى الجنوب وتنقسم إلى حضرموت ومهرة ونجران وعمان والشحر، وقد يسمى شحر عمان^(٢).

واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة، لجودة أرضها وكثرة مياهها، فهى ليست منطقة بدواة بل منطقة تحضر واستقرار وقد سميت اليمن الخضراء، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها^(٣)، قال الكلاعى :

(١) د. محمود أبو العلا : دراسات فى جغرافية العالم الإسلامى (نشر دار الكتاب

العربى ط ١٩٥٦ ص ٥، ٦، ٧).

(٢) د. ج. هيوارث دن : الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى (مكتبة الثقافة

العربية) ص ٢٢.

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ١٦.

هى الحضراء فاسأل عن زواها يخبرك اليقين المخبرونا
وعطرها المهيمن فسى زمان به كل البرية يظمؤونا^(١)

ويدل على تحضرها كثرة مدنها التى يعددها الهمدانى^(٢) مثل
صنعاء، وصعدة، وخبوان، وريدة، وذمار، وخبأ، وعدن، ولحج،
والحبيب، وأم جحدم^(٣).

(٢) الحجاز

الحجاز «عند علماء المنازل والديار القدامى هو سلسلة جبال
السروات المقبلة من اليمن إلى قرب الشام الحاجزة بين نجد وتهامة... فما
سال من قمة هذه الجبال مغرباً ينصب في تهامة، وما سال مشرقاً ينصب
فى نجد، بعد أن يحسر الجبال خلفه من الجهتين.

أما ما اشتملت عليه هذه الجبال من مدن وقرى وسكان فهو
حجازى، قال ياقوت^(٤): والحجاز جبل ممتدل حال بين الغور غور تهامة
ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما.

(١) المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسى
(مطبعة الصاوى الحديثة) ص ٤٣.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى اليمنى المعروف بابن الحائك المتوفى
سنة ٣٣٤هـ، من مصنفاته: صفة جزيرة العرب (هدية العارفين ١/٦٩
وبروكلمان ٤/٢٤٩).

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية: ص ١٦، ١٧.

(٤) هو ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى الأديب المؤرخ المتوفى بحلب سنة ٦٢٦هـ
من مصنفاته: معجم البلدان. (هدية العارفين: ٢/٥١٣).

وقال الأصمعي^(١) : الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز تهامة ونجد، فمكة تهامية، والمدينة حجازية، والطائف حجازية، وقال هشام الكلبي^(٢) : ذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور، وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعك وكنانة وغيرها وما دونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيته من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماء وما يليها نجداً، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه، وهو سراته، وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيته من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تشلبت وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً.

هذا هو المتعارف عليه قديماً... ولقد توسع أخيراً في إطلاق هذه التسمية فشملت مكة وجدة والمدينة ونبع والليث وما بينها وما جاورها ممناً وشاماً، فأصبح اصطلاحاً متعارفاً عليه، وحقيقة لا مشاحة فيها،

(١) هو عبد الملك بن قريش بن أصمع الباهلي من أكابر علماء اللغة. مات سنة

٢١٣هـ. (نزهة الألباء : ص ٢١٢ - ووفيات الأعيان : ٢/ ٣٤٤).

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عالم بأخبار العرب وأيامها. من

مصنفاته: كتاب الأقاليم وكتاب البلدان الكبير. مات سنة ٢٠٦هـ.

(الفهرست: ص ٢٤٠ وهدية العارفين : ٦/ ٥٠٨).

ولعل سبب هذا الإطلاق شمولها جميعاً بإدارة موحدة مركزها مكة منذ تمت التقسيمات في البلاد العربية إلى ولايات عبر القرون الماضية^(١).

وفي الحجاز مناطق استقرار كثيرة، ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام، وهي بلدة طيبة مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، وافرة النخيل والثمار، وهي من البلاد القديمة الوضع والتأسيس، وكانت تسمى يثرب، وإليها كانت هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفي الحجاز أيضاً من البلاد الطائف، وهي بطن من جبل غزوان بشرقي مكة، وهو شديد البرد كثير الفواكه لما فيه من كثرة البساتين التي تسقيها العيون والجداول المنحدرة من الجبال، وأهلها من ثقيف.

وفي الحجاز أيضاً خيبر، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وكان فيها قبائل من اليهود المتعربة، وكانوا يوصفون بالمكر والخبث.

وفيه عكاظ، وهي نخل في واد بين الطائف ومكة ولكنه إلى الطائف أقرب، وبه كانت تقوم سوق العرب المعروفة بهذا الاسم^(٢)، تلك السوق التي كانت منتدى للأدب، ومعرضاً للتجارة، ومجمعاً للغة، ومؤمراً للسياسة والرأى، كانت تنصب فيها قبة من آدم للنايغة الذبياني لينتظم حوله عقد الشعراء من القبائل المختلفة، يعرضون عليه حصاد عامهم مما هذبته القرائح، وأبدعته الأفكار من فن القول، ويزدحم شدة الشعر ومريدوه حول قبته الحمراء يتبارون في عرض تجاربهم الشعرية،

(١) عبد الله بن محمد بن خميس : المجاز بين اليمامة والحجاز (مطبعة نهضة

مصر) ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : ص ٤٠، ٤١.

ينتظرون حكماً منه يتناقله أهل عكاظ، كما كانت تنصب في هذه السوق المنابر لحكماء العرب، أو يقفون على جمالهم يخطبون ويعظون، ويذكرون العرب بأيام الله وما هنالك من بعث وحساب، وما فطرت عليه هذه العوالم العظيمة من أسرار، ومن هؤلاء حكيم العرب قس بن ساعدة الإيادي^(١) الذي ألقى خطبته المشهورة في تلك السوق^(٢).

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

(٢) وقف قس في هذه السوق على جمل أورق، وتضام الناس حوله، وجعل يقول فيهم : أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسما ذات أبراج، ونجوم تزهو، وبحار تزخر وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء لخبيرا، وإن في الأرض لعبيرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه إن لله ديناً هو أرضى لكم، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً.

في الزاهبين الأول	بن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	تمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أنسى لا محاً	له حيث صار القوم صائر

وقد سمع هذا الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم منه في سوق عكاظ وهو غلام، وقال بعد أربعين سنة من هذا المشهد لوفد إياد قوم قس حين قدموا عليه يبايعونه على الإسلام: كأنني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه، فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله. فتلاه عليه، فلما انتهى قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله قساً، إنى لأرجو أن يبعث يوم القيام أمة وحده. (المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ٢٤٤ ، ٢٤٥).

وقد ظلت سوق عكاظ مستمرة بعد ظهور الإسلام إلى ظهور الخوارج الحمرية مع المختار بن عوف حيث نهبها سنة ١٢٩هـ. ومن ثم توقفت إلى اليوم^(١).

وفى الحجاز أيضاً كانت تنتشر الواحات، ومنها فذك والسوارقية وكانت تتخلله أودية عديدة، منها وادى إضم ووادى نخال، ووادى بدا، ووادى القرى.

فالحجاز لهذا يكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر^(٢).

(٣) تهامة

تطلق تهامة على الساحل المحصور بين البحر الأحمر وجبال السراة أو الحجاز، ولانخفاض أرضها قيل لها الغور والسافلة، ويغلب إطلاق لفظ تهامة على الجزء الواقع فى حدود اليمن، فيقال له تهامة اليمن، ويغلب إطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالى الواقع شمال الجحفة، ويطلق لفظ الغور أو تهامة على الجزء الأوسط^(٣).

وقد مر آنفاً أن مكة تهامية، يقول محمود شكرى الألوسى: (والقول بأنها من الحجاز مردود)^(٤) وذكر من بلاد تهامة ينبع وهى على مقربة من البحر، وجدة، وتبوك^(٥).

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٧.

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٥.

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٨، ١٩.

(٤) المختار من كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ص ٤١.

(٥) نفسه : ص ٤١، ٤٢.

وطبيعة أرض تهامة وموقعها، ووجود بعض البلاد التجارية المهمة بها مثل مكة أباح لساكنيها الاستقرار خصوصاً في الجنوب حيث الخصوبة والماء كما أن قوعها على ساحل البحر جعل بعض أهلها يتجهون إلى الملاحة^(١).

(٤) نجد

تقع نجد بين الشام والعراق واليمامة والحجاز، وهي أطيب أرض في شبه الجزيرة العربية، وقد ترنم كثير من الشعراء برباها وطيب هوائها، وبها أرض العالية التي كان يحميها كليب بن ربيعة وفيها قتل، ونشبت بسبب ذلك حرب البسوس التي يضرب بشؤمها المثل^(٢). «وفي نجد مناطق تتوافر فيها المياه، وبخاصة في الشمال في منطقة وادي الرمة، ومنطقة الحرار، لكن معظم المنطقة صحراء، وأهلها يدو رحل»^(٣).

(٥) العروض

وهي اليمامة إلى البحرين^(٤)، وهي منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج العربي، ومعظم الأرض فيها صحراء وبخاصة

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص ١٧.

(٢) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص ٢٢، ٢٣.

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص ١٨، ١٩.

(٤) المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص ٤٠.

البعيدة عن الساحل، لذا كان أهلها من البدو يرحلون سعياً وراء الماء والرزق^(١).

وفي ضوء ما سبق يمكن تصور مناطق الاستقرار والحضر ومناطق البداوة في شبه الجزيرة العربية، ففي اليمن وبعض تهامة والحجاز توجد مناطق الحضر، وفي نجد والعروض توجد مناطق البداوة.

(١) اللهجات العربية في القرآت القرآنية : ص ١٨.



الفصل الثانى

العرب

العرب أحد الشعوب التى اصطلح على تسميتها بالشعوب السامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، إذ يطلق لقب الساميين على الشعوب الآرامية والفينيقية والعبرية والعربية واليمينية والبابلية- الآشورية وما تفرع من هذه الشعوب.

وأول من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة العالم الألمانى شلوتزر Schlozer فى أواخر القرن الثامن عشر. وقد اقتبسه مما ورد في سفر التكوين بصدد أولاد نوح الثلاثة سام، وحام، ويافث، والشعوب التى انحدرت من كل ولد منهم.

وقد لوحظ أن سفر التكوين اعتمد فى تقسيمه هذا على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية، ولذلك عد الليديين والعيلاميين من الساميين، لشدة امتزاجهم بالآشوريين وخضوعهم لسلطانهم السياسى، مع أنهما من الناحية الشعبية أجنبيان عن الشعوب السامية، بل كلاهما أجنبى عن الآخر، فالعيلاميون يرجع أنهم من جنس إيرانى، والليديون غير معروفى الأصل، ولكنهم غير ساميين على وجه اليقين، ولا يجمعهم بالعيلاميين أصل قريب، كما عد السفر السابق الفينيقيين من الشعوب الحامية للصلات السياسية والثقافية التى كانت تربطهم بالشعوب الحامية المصرية والبربرية، ولما كان بينهم وبين العبريين من عداة وحروب واختلاف فى النظم الاجتماعية والسياسية والدينية، مع أنهم من أخلص الساميين نسباً، وأقربهم رحماً إلى العبريين أنفسهم.

وعلى الرغم من ذلك لم يجد العلماء غضاضة فى اقتباس كلمة الساميين من هذا السفر بيد أنهم حددوا مدلولها، ولم يجاروه فى استخدامها، فلم يطلقوها على الشعوب التى ظهر لهم أنها أجنبية عن الساميين، وأضافوا إليها الشعوب السامية التى سكت عنها أو عداها من فصائل أخرى حتى استقر مدلولها فى عرفهم على الشعوب السابق ذكرها فى صدر حديثنا^(١).

وقد اختلف الباحثون فى تحديد موطن الساميين الأصلي ولم يصلوا فيه إلى رأى يقينى، والراجع أنه كان فى القسم الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك)^(٢). وقد مال إلى هذا رأى عدد كبير من قدامى المستشرقين ومحدثيهم وفى مقدمتهم رينان الفرنسى وبروكلمان الألمانى.

وهذا رأى أصح الآراء، وأقواها سنداً، وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ، ويؤيده أن الهجرة فى هذه البلاد كانت تتجه دائماً فى العصور السابقة للتاريخ وفى العصور التاريخية من القسم الجنوبى

(١) د. وافي : فقه اللغة (نشر دار نهضة مصر ط ٨) ص ٦، ٧.

(٢) قيل : إن موطن الساميين الأصلي بلاد الحبشة ومنه نزحوا إلى القسم الجنوبى بشبه الجزيرة العربية عن طريق باب المندب، ومن جنوب شبه الجزيرة انتشروا فى مختلف أنحاءها.

وقيل : إن موطنهم الأصلي كان شمال أفريقية ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس.

وقيل : إن موطنهم الأصلي كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان.

وقيل : إن موطنهم الأصلي كان جنوب العراق.

وقيل : إن موطنهم الأصلي كان بلاد كنعان. (انظر فقه اللغة للدكتور/ وافي : ص ٨٠، ٨١).

الغربي من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال والشرق (سوريا- والعراق وما إليها) (١).

« ففى موجات متتالية خرج من جزيرة العرب البابليون والكنعانيون والآراميون، وذلك على مثال الغزو الإسلامى فى القرن السابع الميلادى » (٢).

وعلى كل حال فالعرب وجدوا فى ديارهم قبل أن يعرفوا باسم العرب بين جيرانهم، وليس هذا بغريب، فالهند مثلاً كانت عامرة بسكانها قبل أن يسمى نهراً بنهر الهندوس، وقبل أن يطلق اسم هذا النهر على شبه الجزيرة كلها.

والحبشة كانت عامرة بقبائلها المتعددة قبل أن يسميها العرب بهذا الاسم ويقصدون به بلاد الأحباش أى السكان المختلطين، وقبل أن يسميها اليونان باسم أثيوبية، أى بلاد الوجوه المحترقة، وقبل أن يسميها العبرانيون باسم بلاد الكوشيين، لأنهم ينسبون أهلها إلى كوش بن حام بن نوح.

وقد مضى على العرب أكثر من ألفى سنة وهم معروفون بهذا الاسم الذى يطلقونه على أنفسهم ويطلقه عليهم غيرهم، ولا يزال أصل التسمية وتاريخ إطلاقها غير معروفين على التحقيق إلى اليوم.

هل أطلق عليهم اسم العرب لأنهم كانوا يسكنون موقع الغرب من أمة أخرى يحل فيها حرف العين محل حرف الغين كما يحدث فى بعض اللهجات ؟

(١) د. وافي : فقه اللغة : ص ١١ ، ١٢ .

(٢) العرب فى سوريا قبل الإسلام لرنيه ديسو ترجمة عبد الحميد الدواخلى (نشر الدار القومية للطباعة والنشر) ص ٢٠ .

هل أطلق عليهم هذا الاسم من العرابة بمعنى الجفاف أو الصحراء
فى لغة بعض الساميين بشمال الجزيرة؟
هل أطلق عليهم نسبة إلى يعرب بن قحطان أو نسبة إلى عربة من
أرض تهامة كما يقول ياقوت ؟
إن مؤرخى العرب يختلفون فى ذلك كما يختلف فيه غيرهم^(١).

طبقات العرب

اصطلاح المؤرخون على تقسيم العرب إلى طبقتين، هما :

١- العرب البائدة.

٢- العرب الباقية.

والعرب الباقية قسمت إلى :

١- عربة عاربة.

٢- عرب مستعربة.

أولاً: العرب البائدة

وهم الذين بادوا وهلكوا ودرست آثارهم، ولم يبق من أخبارهم إلا
القليل مما حكته الكتب السماوية أو بعض النقوش التى عثر عليها
بعض المستشرقين، وأشهر قبائل العرب البائدة ما يلى :

(١) عاد

وهم بنو عاد بن عَؤْص بن إِزْم بن سام بن نوح عليه السلام،
ومساكنهم كانت بالأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضر موت
والشحر، وهم الذين أرسل الله إليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا

(١) العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين (مطابع الهيئة

المصرية العامة للكتاب) ص ٨، ٩، ١٠.

فأهلكهم بالريح كما قص علينا القرآن الكريم^(١)، يقول الحق تبارك وتعالى: «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَخَلٍ خَاوِيَةٍ قَهْلٌ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ»^(٢).

وقد ذكر أستاذنا الدكتور إبراهيم نجاد رحمه الله أن الله تعالى نجى هودا ومن آمن معه ونزلوا يحضر موت وأطلق عليهم عاد الثانية، ولكن العلماء اختلفوا في شأنها، وقال: والمتبادر أنها هلكت بالتدريج^(٣).

(٢) ثمود

وهم بنو ثمود بن جاثر - ويقال: كاثر، بالكاف بدل الجيم - ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مساكنهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام، وهم الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى وقد قص القرآن الكريم قصتهم مع صالح عليه السلام وهلاكهم.

(٣) العمالقة

وهم بنو عمليق - ويقال عملاق - بن لاؤذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ويضرب بهم المثل في الطول والجشمان، وقد تفرقت منهم أمم في البلاد كان منهم أهل عمان، والبحرين، والحجاز، وملوك العراق، والجزيرة وجبابة الشام، وفراعنة مصر (الهكسوس).

(١) القلقشندي: صبح الأعشى: (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٣م) ١/٣١٣.

(٢) سورة الحاقة/ ٦، ٧، ٨.

(٣) د. نجاد: اللهجات العربية (مطبعة السعادة بمصر) ص ٤٥.

(٤) طَسْمٌ وَجَدِيسٌ

وهما قبيلتان من نسل إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قيل:
كانت مساكن طسم بالأحقاف باليمن. وقيل : كانت ديارهم باليمامة.
وكانت مساكن جدیس بجوارهم، وكانت الحرب بينهما سبباً في هلاكهما.

(٥) عَبْدٌ ضَخْمٌ

وهم بنو عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، كانوا
يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك، ويقال : إنهم أول من كتب بالخط
العربي.

(٦) جُرْهُمُ الْأُولَى

كانوا على عهد عاد فبادوا.

(٧) مَدَّيْنٌ

وهم بنو مدين بن إبراهيم عليه السلام، وكانت ديارهم ديار عاد
وأرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز، بعث الله تعالى إليهم
شعيباً عليه السلام فلم يؤمنوا^(١).

(٨) مَعِينٌ

كانت تسكن بلاد اليمن قبل سبأ بعدة قرون، وقد كشفت بحوث
المستشرقين في بلاد اليمن عنها، ويرجع المؤرخون أنها كانت معاصرة
للأسرة العشرين في تاريخ مصر القديم^(٢).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى : ٣١٣/١ ، ٣١٤ .

(٢) د. نجا : اللهجات العربية : ص ٤٧ .

ثانياً : العرب الباقية

(١) العرب العاربة

هم الخلف من العرب، جاء في لسان العرب : «العرب العاربة: هم الخلف منهم، وأخذ من لفظه فأكد به، كقولك : ليل لائل، تقول : عرب عاربة وعَرَبَاء (١)».

وهم بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن، وتسمى عربيتهم بالقحطانية أو العربية الجنوبية، والمشهور منهم شعبان : (٢)

الشعب الأول : جرهم

وهم بنو جرهم بن قحطان، وهم غير جرهم الأولى المقدم ذكرها في جملة العرب البائدة.

وكانت منازلهم أولاً اليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه فأقاموا به حتى كان من نزول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان فنزلوا عليه بمكة واستوطنوها.

الشعب الثاني : يعرب

وهم بنو يعرب بن قحطان المقدم ذكره، ويقال : إن العرب إنما سميت عرباً به، كما مر، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به، ومنه تناسلوا فولد له بشجب، وولد يشجب سبأ ومن سبأ تفرعت جميع قبائلهم.

ويرجع المشهور فيه إلى قبيلتين، هما حمير وكهلان.

(١) ابن منظور: لسان العرب تحقيق عبد الله الكبير وآخرين (ط دار المعارف)، مادة (عرب) ص ٢٨٦٣.

(٢) الشعب : هو النسب الأبعد الذي تنسب إليه القبائل كعدنان، ويجمع على شعوب، وسمى شعباً لأن القبائل تتشعب منه. (صبح الأعشى : ١ : ٣٠٨).

أولاً : حمير

وهم بنو حمير بن سبأ ، ومن حمير قبائل قُضاة ، وهو قضاة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير ، وقيل : قضاة بن مالك بن حمير . وذهب بعض النسابة إلي أن قضاة من العدنانية . والصحيح كما قال السَّهَيْلِيُّ^(١) أن أم قضاة وهي جكرة مات عنها مالك بن حمير وهي حامل فتزوجها مَعْدُ بن عدنان ، فولدت قضاة على فراشه فتبناه فنسب إليه . وكان قضاة مالكا لبلاد الشَّحْر .

والمشهور من قبائل قضاة مايلي :

(١) بَلَسَى

وكانت مساكنهم « تقع بين المدينة ووادي القرى من منقطع دار جهينة إلى حدود دار جذام بالنبك على شاطئ البحر ثم عبنونا من خلفها ، ثم لها ميامن البر إلى حد تبوك ، ثم إلى جبال السراة ، ثم إلى معان ، ثم راجعاً إلى أبلّة.... قال ابن خلدون^(٢) كانت مواطنهم شمالي جُهينة إلى عقبة أبلّة على العدو الشرقية من بحر القُلُزم^(٣) .

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأندلسي المتوفى سنة ٥٨١هـ . من مصنفاته : الروض الأتف في شرح سيرة ابن هشام . (هدية العارفين : ٥٢٠/١) .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الأشبيلي ، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٨ من مصنفاته : عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم . (هدية العارفين : ٥٢٩/١) .

(٣) كحالة : معجم قبائل العرب (ط. مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢م ط٣) : ١/ ١٠٥ .

ولهم بقايا ببلاد الصعيد الأعلى من الديار المصرية وبالحجاز
وغيرهما.

(٢) جُهَيْنَة

وهى قبيلة عظيمة «وكانت منازلهم أطراف الحجاز من جهة
الشمال حيث بحر جُدَّة» (١).

ولهم بقايا بصعيد مصر وبالحجاز وغيرهما.

(٣) كَلَب

وكانت منازلهم فى الجاهلية دومة الجندل وتَبُوك وأطراف الشام.

(٤) بَهْرَاء

وكانت منازلهم شمالى منازل بلى من البنيع إلى عقبة أبله، ثم
جاور البحر الأحمر منهم خلق كثير وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد
مصر، وكثروا هنالك وغلبوا على بلاد النوبة.

(٥) عُدْرَة

وهم الذين ينسب إليهم العشق والتتيم، ومنهم جميل صاحب
بشينة، وعروة بن حزام صاحب عفراء. وقيل لرجل منهم : ما بال العشق
يقتلكم يا بنى عدرة؟ قال : لأن فينا جمالاً وعفة.

ولهم بقايا بالدقهلية وغيرها من الديار المصرية وبقايا بالشام
أيضاً.

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية: ص ٢٤ نقلاً عن قلاتد الجمان
للقشندى.

(٦) بنونَهْد

وكانت منازلهم باليمن.

(٧) جَرم

وهم غير الذين ببلاد غزة فأولئك هم جرم طي.

(٨) مَهْرة

«كانوا يقيمون باليمن ... وتنسب إليهم الإبل المهرية»^(١).

ثانياً : كَهْلَان

وهم بنو كهلان بن سبأ وكانوا متداولين الملك باليمن مع بنى حمير.

والمشهور من قبائلهم مايلي :

(١) الأَزْد

وهم ثلاثة أقسام :

(أ) أَزْدُ شَنْوَة

وهم بنو نصر بن الأزْد، وشنوة لقب لنصر غلب عليه «وكانت منازلهم السراة»^(٢).

(ب) أَزْدُ السراة

والسراة موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به.

(ج) أَزْدُ عُمان

وعُمان مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعرفوا بها، ومن بطون الأَزْد:

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ١١٥٠/٣.

(٢) كحالة : معجم قبائل العرب : ١٥/١.

١- غَسَّان

وسموا كذلك لنزولهم على ماء اسمه غسان على القرب من بلاد اليمن، فشربوا منه فسموا به، وفي ذلك يقول بعض الأنصار :

إِمَّا سَأَلْتَ قِيَانًا مَعَشَرَ نُجُبٍ الْأَزْدُ نَسَبَتْنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ
ولغسان هؤلاء كان ملك العرب بالشام.

٢- الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ

وكانت منازلهم يشرب، وكان منهم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر أن منهم جماعة يَمْتَقِلُوطُ من صعيد مصر من عقب حسان بن ثابت وسعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنهما.

٣- خُزَاعَة

«كانوا بأنحاء مكة في مَرَّ الظُّهْرَانِ وما يليه»^(١).

(٢) طَيِّئ

كانت منازلهم باليمن، ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسبيل القرم، فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بنى أسد، ثم غلبوا بنى أسد على جبلى أجأ وسلمى من بلاد نجد فنزلوهما فعرفا بـجبلى طيئ.

ومن بطون طيئ الكثيرة :

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ٣٣٩/١.

١- جديلة

وجديلة أمهم عرفوا بها، وهى جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير.

٢- جَزْم

وهم الذين ببلاد غزة من البلاد الشامية.
ومن بطون طى أيضاً : ثُعَل، وَغَزِيَّة، وَنُبْهَان، وَتَوْلَان.

(٣) مَذْحِج

قيل : سُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا عند شجرة اسمها مذحج فسموا باسمها. «وهى من القبائل اليمنية التى ظلت مستقرة باليمن»^(١).
ومن بطونها الكثيرة.

١- سعد العشيرة

وهم بنو سعد العشيرة، وسُمِّيَ بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى دفعاً للعين عنهم، ف قيل له سعد العشيرة.
ومن بطون سعد العشيرة زُبَيْد.

٢- بنو الحارث

وديارهم بنواحي نجران من اليمن، ويقال لهم : بَلْحَارِث بن كعب.
ومن بطون مذحج أيضاً : جنب، وعنس، والنخع.

(٤) هَمْدَان

وكانت ديارهم باليمن من شرقيه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم وبقي من بقي باليمن.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ٢٧.

(٥) كِنْدَة

وبلادهم كانت باليمن في جهة حضرموت، وكان لهم ملك باليمن والحجاز.

(٦) أَفْجَار

وهم بنو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. ولهم بطنان، هما :
١- بَجِيلَة

وبجيلة أمهم عُرِفُوا بها، وهي بجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة، وكانت بلادهم في سروات اليمن والحجاز إلى تَبَالَة ثم أفترقوا أيام الفتح الإسلامي في الآفاق فلم يبق في مواطنهم إلا القليل.
٢- خَنْعَم

وكانت مساكنهم مع إخوتهم بجيلة بسروات اليمن، فافترقوا في الفتوحات الإسلامية، فلم يبق منهم في موطنهم إلا القليل. ويقال : إن بجيلة وخثعم من العدنانية، لأن نزار بن معد بن عدنان ولد له مُضَر وربيعة وإياد وأنمار، وولد لأنمار بجيلة وخثعم فصاروا إلى اليمن.

(٧) جُذَام

من القبائل اليمنية التي هاجرت من اليمن إلى الشمال، إذ « كانت تنزل جذام ببجبال حسمى، ومساكنها بين مدين إلى تبوك »^(١).
قيل: أول من سكن مصر من العرب من جذام حين جاؤا في الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه، وأقطعوا فيها بلاداً، وقد ذكر

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ١٧٤/١.

القلقشندي^(١) كثيراً من بطونهم التي نزلت مصر وأقامت بالشرقية والدقهلية في كتابه صبح الأعشى^(٢).

(٨) لحم

وهي أيضاً من القبائل اليمنية التي هاجرت إلى الشمال، يقول ابن حزم^(٣): ودار لحم بالشام بين مصر وبين الشام حوالى العريش^(٤) وفي معجم قبائل العرب: «كانت مساكنهم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر والجفار... وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس فدعيت باسمهم، وتسميها العامة اليوم بيت لحم، ومنهم آل المنذر ملوك العراق^(٥)». وقد شاركوا في فتح مصر، واختلطوا بأهلها، وقد ذكر أن سبع أبطن من لحم سكنت صعيد مصر ذكرهم القلقشندي في صبح الأعشى^(٦).

(١) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي المصري المتوفى سنة ٨٢١هـ. من مصنفاته: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، ونهاية الأرب في معرفة أنساب قبائل العرب. (هدية العارفين: ١/ ١٢٢).

(٢) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ٣٣١/١ وما بعدها.

(٣) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٣٥٦هـ. من مصنفاته: جمهرة أنساب العرب. (هدية العارفين: ١/ ٦٩٠).

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق هارون (ط). دار المعارف (ط ٤) ص ٤٢١.

(٥) كحالة: معجم قبائل العرب: ١١/٣.

(٦) انظر: صبح الأعشى: ٣٣٤/١، ٣٣٥.

(٩) الأشعريّون

وهم من القبائل التي استقرت في اليمن، وهم رهط أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١٠) عاملة

وهي من القبائل التي هاجرت إلى الشمال، وقد ذُكر أن بجبال عاملة من بلاد الشام عدداً كثيراً منهم.

(١١) العرب المستعربة

وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويقال لهم العرب المتعربة أيضاً، وقد سموا بذلك لأن لغة إسماعيل عليه السلام كانت العبرانية أو السريانية، فلما نزلت جُرحهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم، وتعلم منهم هو وبنوه العربية، ويعرف هؤلاء العرب بالعدنانية نسبة إلى عدنان من ولد إسماعيل، إذ قيل: إن من عدا عدنان من ولد إسماعيل قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب. ومنازلهم الأولى في نجد والحجاز وتهامة ممتدة فيما وراء ذلك شمالاً إلى العراق ومشارف الشام.

ومن القبائل العدنانية :

(١) إياد

وهم بنو إياد بن نزار بن مَعَدّ بن عَدْنان، ومنهم قُتُس بن ساعدة الإيادي أحد حكماء العرب، وقد سبقت الإشارة إليه.

وقد نزلوا بأطراف العراق بعد أن فارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى

هناك.

(٢) ربيعة

وهم بنو ربيعة بن نزار، ويعرف بربيعة الفرس، لأن أباه نزاراً
أوصى له من ماله بالخيّل.
ولربيعه بطنان، هما أسد وضُبَيْعة، وديارهم بالجزيرة الفراتية
وكانت تعرف بديار ربيعة.
ومن أسد: بنو عنزة، وكانت منازلهم خيبر من ضواحي المدينة،
وجديلة، وهم بنو جديلة بن أسد.
ومن جديلة: عبد القيس، وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى
البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وقيم.
ومن جديلة أيضاً: بنو النّمر، وكانت ديارهم رأس العين من أعمال
الجزيرة الفراتية، وبنو وائل.
ومن وائل: بكر وتغلب.
ومن بكر بن وائل: شيبان، وبنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب،
وبنو عجل، وكانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة.

(٣) قيس عيلان

وهم من مضر بن نزار الذي يعرف بمضر الحمراء، لأن أباه أوصى له
من ماله بالذهب وما فى معناه، ولكثرة بطون قيس غلب على سائر
العديانية حتى جعل فى مقابل عرب اليمن قاطبة، فيقال : قيس وعين.
ومن بطون قيس :

(١) هوازن

وهم الذين أغار عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وسباهم.

ومن هوازن

(١) بنو سَعْد

وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعاً فيهم.

(٢) بنو عامر بن صَفْصَعَة

وهم الذين كان لهم في الإسلام دولة باليمامة وكانت ديارهم حمى
ضريبة وهو حمى كُليب، وحمى الرَيْدَة في جهات المدينة النبوية، وَقَدْ ك
والعوالى ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام، فكان لهم في الجزيرة الفراتية
صيت وملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام، ثم ضعفوا وزال
ملكهم.

ومن بنى عامر بنو عُقَيْل وكانت منازلهم في البحرين في كثير من
قبائل العرب. وبنو هلال الذين نزل كثير منهم صعيد مصر.

(٣) بنو جُشَم

وكانت مساكنهم بالسروات وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد.

(٤) ثَقِيف

وكانت منازلهم بالطائف.

ب) غَطَفَان

وهم بنو غطفان بن قيس عَيْلان، وكانت منازلهم مما يلي وادي
القرى وجبلى طى أجأ وَسَلَمَى، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية،
واستولوا على مواطنهم هناك قبائل طى.

ومن بطون غطفان عَبَسَ التى ينسب إليها الشاعر الفارس عنتره
ابن شداد، وَذُبْيَان التى ينسب إليها الشاعر النابغة الذبياني.

(ج) سُلَيْم

وهم أكبر قبائل قيس، وكانت منازلهم فى عالية نجد بالقرب من
خير، ومن منازلهم حَرَّة سُلَيْم، وَحَرَّة النار بين وادى القرى وتيما.

(د) عَذْوَان

وكانت منازلهم بالطائف نزلوها بعد إباد والعمالقَة، ثم غلبهم
عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة.

(هـ) باهَلَة

وهم بنو سعد مناة، وباهلة أم سعد مناة عُرِفوا بها، وهى باهلة
بنت صَعْب بن سعد العشيرة. و«كانوا يقطنون باليمامة»^(١).

(٤) خِنْدِف

وهم بنو إلياس بن مضر، وكانت تحت إلياس خندف بنت حُلْوَان بن
عِمْرَان بن الحافى بن قُضاعة فعرفوا بها، فقليل لهم: خِنْدِف.
ومنهم :

(أ) تَمِيم

وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة
وامتدت إلى العُدَيْب من أرض الكوفة.
ومن بطون تميم بنو العنبر، وبنو حنظلة وهم أكبر قبيلة فى تميم،
ومن بني حنظلة هؤلاء بنو يَرْبُوع.

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ٦٠ / ١.

(ب) بنو ضَبَّة

وكانت دبارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى قميم، ثم انتقلوا في الإسلام إلى العراق.

(ج) هَذِيل

وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر وهي قبيلة متسعة لها بطون كثيرة، ومساكنهم بالسراة المتصلة بسروات بنى جشم التي مر ذكرها آنفاً، «وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، وكان لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة، ثم تفرقوا بعد الإسلام^(١).

(د) أَسَد

وهم غير أسد ربيعة السابق ذكرهم، فهؤلاء بنو أسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار، أما أسد ربيعة فهم بنو أسد بن ربيعة بن نزار.

وكانت مساكن بنى أسد بن خزيمة مما يلي الكَرخ من أرض نجد في مجاورة طى، ويقال : إن بلاد طى كانت لبنى أسد فلما خرج بنو طى من اليمن تغلبوا على جبلى أجأ وَسَلَمَى وتفرق بنو أسد بسبب ذلك فى الأقطار.

ومن بطون أسد هؤلاء دُودان بن أسد، والكاهلية وهم بنو كاهل بن أسد.

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ١٢١٣/٣.

هـ) كِنَانَة

وهم بنو كِنَانَة بن خُزَيْمَة «وكانوا ينزلون تهامة بالقرب من مكة^(١)».

وقد ذكر أن منهم جماعة بالأخميمية من صعيد مصر يعرفون بكِنَانَة طَلْحَة، وأن منهم طائفة نزلوا دِمْيَاط وما حولها.

و) قُرَيْش

وهم بنو النَّضَر بن كِنَانَة^(٢)، وكانت منازلهم في مكة وما جاورها.

وبعد أن ألقينا الضوء على المكان وهو شبه جزيرة العرب وعلى السكان وهم العرب آن لنا أن ننتقل إلى الحديث عن اللهجات، تلك اللهجات التي لا تنفصل عن المكان والسكان.

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ص ٣٤.

(٢) اعتمدنا في حديثنا عن العرب العاربة والمستعربة على ما جاء في صبح

الأعشى للقلقشندي (١/٣١٥ وما بعدها) ما عدا ما أشرنا إلى مصادره في

موضعه.

الفصل الثالث اللغة واللهجة

اهمية دراسة اللهجات

تعد دراسة اللهجات على الرغم من أهميتها من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد ظهرت هذه الدراسة وفنت في الجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصراً مهماً بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها تعنى بشرحها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على مر الزمن.

وعلى الرغم من كثرة ما ألفه علماء العربية القدامى في كل فرع من فروع اللغة فإن اللهجات العربية لم تظفر منهم بمؤلف مستقل يجمع شتاتها، ويشرح غامضها، وإنما ظلت متناثرة في روايات نجدتها في بطون كتب اللغة والأدب والقراءات والتاريخ وغيرها.

وكان أول مؤلف في اللهجات العربية تلك الرسالة الصغيرة المسماة «مميزات لغات العرب» لحفنى ناصف التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بمدينة فينا في أراثل سنة ١٣٠٤هـ (١).

وترجع أهمية دراسة اللهجات العربية إلي مايلي :

- ١- دراسة اللهجات العربية تعين الباحث اللغوى على تصور وفهم التطور اللغوى للعربية وتأصيل الدرس اللغوى.

(١) د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية (نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط٤) ص

ولذا يجب أن تدرس اللهجات العربية القديمة من مصادرها المختلفة، من القراءات القرآنية، ومن الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، ومن الآثار والنقوش في شبه الجزيرة العربية للوقوف على تصور التطور اللغوي فيها.

٢- تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة في الإجابة على السؤال التالي :

هل العربية الفصحى ولغة الشعر عبارة عن حصيلة لهجات عدة أو أنها لهجة قبيلة معينة سادت واتخذها الشعراء قالباً ينظمون فيه أشعارهم ؟

٣- تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التي رويت لنا غير منسوبة إلى لهجة معينة.

٤- التوسع في دراسة جميع اللهجات العربية القديمة يزيد لغتنا ثروة ويمنحها قوة.

٥- البحث في اللهجات العربية في الوطن العربي يرشدنا إلى معرفة مصادر هذه اللهجات وأن كثيراً منها يرجع إلى لهجات القبائل العربية القديمة.

فالنطق الدارج في جمهورية مصر العربية مثلاً لكلمة سكرى هو سكرانة يرجع إلى لهجة بني أسد.

والنطق لكلمتى مدين ومعيب هو مديون ومعيوب يرجع إلى لهجة تميم التي تتم اسم المفعول من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي.

والنطق لكلمة شَعِير وكلمة رَغِيف هو شَعِير ورَغِيف (بكسر الفاء) يرجع إلى لهجة تميم حيث يكسرون أول قَعِيل إذا كان ثانيه حرفاً من أحرف الحلق.

والنطق للام الجر بالكسر فى نحو المال لك وله يرجع إلى لهجة قُضاة.

والنطق الدارج للضميرين هُوَ وهى هو هُوَ وهى (بتشديد الواو والياء) يرجع إلى لهجة همدان.

٦- دراسة اللهجات الحديثة فى الوطن العربى تمكنا من الوقوف على الانحرافات المختلفة فى النطق والتحوير فى الأداء، وبذلك يسهل توحيد اللهجات فى لغة مشتركة واحدة والقضاء على اللهجات الإقليمية^(١).

٧- يمكننا عن طريق دراسة اللهجات العربية الحديثة أن نتعرف على ما جدّ فيها من مادة، وعلى المصدر الذى دخلت منه إليها، خصوصاً بعد أن أصبح لعلم اللغة الحديث مناهجه فى جمع المادة اللغوية وتحليلها على المستويات الصوتية والنحوية والقاموسية، وبعد أن ظهرت المخترعات المختلفة التى تمدنا بوسائل حديثة ودقيقة للتسجيل والتحليل.

٨- اللهجات العربية الحديثة هى المستودع الذى ترسبت فيه ظواهر لغوية كثيرة انقرضت من الاستعمال الأدبى وقد يكون بعض هذه الظواهر باقياً من بعض اللهجات الجاهلية أو الإسلامية، وقد يكون بعضها عربياً قصبياً ندر استعماله، وبواسطة المادة اللغوية المتخلفة فى اللهجات الحديثة ودراستها يمكن أن نهتدى

(١) د. إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية (مطبعة الفاروق الحديثة ١٩٨٦م) ص ٤، ٥ ود. رمضان عبد التواب فصول فى فقه العربية (نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٧م ط١) ص ٥٩، ٦٠ واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٢٠٦.

إلى أصل بعض مواد اللغة العربية أو نتعرف على الطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية ما حتى تطورت واتخذت مظهراً آخر في العربية الفصحى.

ولذا يمكن القول بأن الأبحاث اللغوية التاريخية تعتمد بصفة أساسية على اللهجات الحديثة . (١)

صعوبة البحث في اللهجات العربية القديمة

ثمة صعوبات كثيرة تواجه الباحثين في اللهجات العربية القديمة أهمها يرجع إلى مايلي :

١- إهمال علماء اللغة القدامى دراسة اللهجات وإفرادها بمؤلف مستقل يجمع شتاتها، ويشرح غامضها، ويظهر الخصائص الصوتية والتعبيرية لها، خوفاً من إثارة العصبية القبلية لاسيما بعد أن ضم الإسلام الحنيف العرب تحت لوائه واتسعت رقعة الدولة الإسلامية جعل هذه اللهجات تصل إلينا متناثرة في بطون الكتب مبتورة حيناً وممسوخة حيناً آخر.

لذا فإن دراسة اللهجات العربية القديمة تتطلب تصفح جميع المؤلفات العربية في كل فن من فنون العلم لأن الاهتمام بالمسائل اللغوية لم يقتصر على اللغويين والنحويين بل تجاوزهما إلى الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والأطباء والرياضيين، ومن ثم فإن كثيراً من الملاحظات المهمة عن اللهجات العربية يعثر عليها في غير كتب اللغويين أيضاً.

(١) د. عبد الرحمن أيوب : العربية ولهجاتها (مطابع سجل العرب ١٩٦٨ ط ١)

- ٢- إغفال علماء اللغة ذكر القبائل التى تنتمى إليها اللهجات أحياناً، والاكتفاء باطلاق اسم اللغة عليها دون نسبة. وذلك راجع إلى سوء التحرى للهجات العربية مقيدة بالبيئة أو الإقليم.
- وكذا اختلافهم فى تعيين القبيلة التى تنتمى إليها لهجة من اللهجات.
- وهذا بلاشك يتطلب جهداً من الباحث لعزو اللهجات المجهولة لأصحابها، والتوفيق بين أوجه الخلاف السائدة بين اللغويين فى نسبة لهجة من اللهجات إلى قبائل عدة.
- ٣- إطلاق علماء اللغة القدماء كلمة لغة لتدل فى أحيان كثيرة على لهجة قبيلة من القبائل وإطلاقها فى أحيان أخرى لتدل على عيوب النطق (اللثغة) وعدم التمييز بين الإطلاقين عندهم.
- ٤- التصحيف والتحريف اللذان ابتليت بهما الكتب العربية طمسا كثيراً من المعالم الصحيحة لبعض اللهجات العربية التى دونت فى كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها.
- ٥- وصف اللغويين اللهجات العربية غير القرشية بأوصاف مختلفة مثل : فصيحة، أو قبيحة، أو رديئة، أو ضعيفة، أو شاذة، وذلك لعدم لهجة قریش أفصح اللهجات.
- ٦- إهتمام المسلمين بلغة قریش لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد ذهب فى هذه اللغة عناصر متعددة من اللهجات العرب المختلفة بعضها يوجد فى كتب القراءات كالحجّة لأبى على

الفارسي^(١) والمحتسب لابن جنى^(٢) وغيرهما، وأقحموا على الفصحى خصائص وسمات اللهجات المختلفة حين استنبطوا قواعدهم النحوية والصرفية^(٣).

اللغة

اللغة ضرورة اجتماعية لا يستغنى عنها البشر، ومنذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة للتفاهم، ومن أرقى الوسائل التي وصل إليها الإنسان في تفاهمه مع أخيه اللغة الصوتية.

وقد لوحظ أن كلمة (اللغة) لم تعرف عند العرب قبل انتهاء القرن الثاني الهجري، وكان العالم باللغة عندهم يطلق عليه اسم الراوية، ثم عرف باسم اللغوى في القرن الرابع الهجري، ومن الذين أطلق عليهم هذا اللقب الجديد أبو الطيب اللغوى^(٤).

(١) هو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي إمام وقته في علم النحو، من تلميذه ابن جنى، من مصنفاته الحجة في علل القراءات السبع. مات ببغداد سنة ٣٧٧هـ (نزهة الألباء ص ٣١٥).

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي، كان إماماً في اللغة، بارعاً في النحو والتصريف، من مصنفاته: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات مات ببغداد سنة ٣٩٢هـ. (نزهة الألباء : ص ٣٣٢ وهدية العارفين: ١/٦٥٢).

(٣) د. إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية : ص ٥ ، ٦ د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص ٦٠ ، ٦١.

(٤) هو أبو الطيب عبد الواحد بن على الحلبي المتوفى سنة ٣٥١هـ. من مصنفاته : الإبدال: (هدية العارفين : ١/٦٣٣).

وابن دُرَيْدٍ^(١)، والأزهري^(٢) ولم تظهر كلمة (اللغة) في آداب العرب إلا في القرن الثامن الهجري، فقد كان أول ورودها - على ما يعلم - في شعر لَصَفِيٍّ الدين الحِلِّي المتوفى سنة ٧٥٠هـ^(٣) حيث يقول :

يَقْدِرُ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْفُرُ نَفْعُهُ
وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمِلَمَاتِ أَعْوَانُ
فَهَافَتْ عَلَى حِفْظِ اللُّغَاتِ وَقَهْمِهَا
فَكُلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانُ

ولم ترد كلمة لغة في القرآن الكريم، وإنما عبر فيه عن مفهومها بكلمة لسان في عدة مواضع منه، منها قول الحق تبارك وتعالى : (وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)^(٤). ولعل العرب الأولين كانوا يستعملون كلمة (اللسان) بدلا من كلمة (اللغة).

وبناء على عدم ورود كلمة (لغة) في آداب العرب المتقدمين وفي القرآن الكريم، استنتج بعض الباحثين المحدثين أنها دخيلة على العربية، وأنها معربة عن كلمة Logs الأغريقية التي تعنى كلمة أو فكرة.

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أحد أئمة اللغة، من مصنفاته :
جمهرة اللغة. مات ببغداد سنة ٣٢١هـ (نزهة الألباء ص ٢٥٦).

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، من أكابر أئمة اللغة. من مصنفاته :
تهذيب اللغة. مات بهراة سنة ٣٧٠هـ (نزهة الألباء : ص ٣٢٣).

(٣) هو صفى الدين عبد العزيز بن على بن الحسين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠هـ.
من مصنفاته: الدر النفيس فى أقسام التجنيس، وديوان شعره. (هدية
العارفين: ٥٨٢/١).

(٤) الشعراء/ ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

ولكن ما يؤكد عربية هذه الكلمة وجود مادة (ل غ و) فى الآداب العربية، وفى القرآن الكريم، وهى تعنى الأصوات الإنسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة.

فقد ورد اللغا بمعنى الهذيان وقول الباطل، فى قول العجاج^(١):

وَرَبِّ أَسْرَابٍ حَجِيجٍ كُظِّمَ^(٢) عَنِ اللَّغَا وَرَقَّتِ^(٣) التَّكَلُّمُ

وورد اللغو بمعنى السقط الذى لا يعتد به من الكلام فى القرآن

الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى : (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)^(٤).

وقد ورد لغا بمعنى تكلم فى الحديث الشريف : (من قال يوم الجمعة والإمام يخطبُ لصاحبه: صَ، فقد لَغَا)^(٥).

وقد ورد فى المعاجم العربية لَغَا يَلْغُو، إذا تحدث، وَلَغَى يَلْغَى، إذا لَهَجَ، مع تصرفات أخرى للمادة ونصوص كثيرة موثوق بها، مما يشبت عربية هذه الكلمة^(٦).

(١) هو عبد الله بن ربيعة بن لبيد التميمي، أحد الرجاز المجيدين. مات سنة ٩٧هـ.

(الشعر والشعراء: ٥٩٥/٢، والأعلام: ٥٥٦/٢).

(٢) كظم : ساكتون. (اللسان : كظم).

(٣) الرفث : الفحش من القول، وكلام النساء فى الجماع.

(اللسان : رفث).

(٤) الفرقان : ٧٢.

(٥) الزمخشري : الفائق فى غريب الحديث (تحقيق على البجاوى ومحمد أبو

الفضل ط عيسى الحلبي ط ٢) : ٣/٣٢٢.

(٦) د. عبد القفار هلال : اللغة العربية خصائصها وسماتها (مطبعة الحضارة

العربية ط ١. ١٩٧٦م) ص ٦٨، ٦٩.

اشتقاق اللغة

هى عند بعض علماء اللغة مأخوذة من لغا فلان بمعنى تكلم ونطق، ففى لسان العرب : «هى فُعْلَةٌ مِنْ لَعَوْتُ أَى تكلمت» (١).

وفى أساس البلاغة : «لَعَوْتُ بكذا : لفظْتُ به وتكلمتُ، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلغهم... وتقول : اسمع لَعَوَاهم ولا تخف طغواهم، ومنه اللغة، وتقول : لغة العرب أفصح اللغات، وبلاغتها أتمُّ البلاغات» (٢).

وعند بعضهم مأخوذة من لَغَى بالشئ يَلْغَى لَغًا: لِهَجَ به وأولع به، ففى المصباح المنير: «لَغَى بالأمر يَلْغَى من باب تعب: لِهَجَ به، ويقال: اشتقاق اللغة من ذلك، وحذفت اللام وعُوِضَ عنها الهاء، وأصلها لُغَوَةٌ مثال غُرْقَةٍ» (٣).

ويرى فريق آخر أنها مأخوذة من قولهم : لغا فلان عن الصواب وعن الطريق : مال عنه، ففى لسان العرب : «لَغَا فلان عن الصواب وعن الطريق، إذا مال عنه... واللغة أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين» (٤).

يقول الزمخشري (٥) فى أساس البلاغة : «ومن المجاز: لغا عن الطريق وعن الصواب : مال عنه» (٦).

(١) اللسان : ل غ و.

(٢) الزمخشري : أساس البلاغة : ل غ و.

(٣) الفيومى : المصباح المنير : ل غ و.

(٤) لسان العرب : ل غ و.

(٥) هـ جـ ر الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة

٥٤٨ هـ من مصنفاته : أساس البلاغة (هدية العارفين : ٤٠٢/٢).

(٦) أساس البلاغة : ل غ و.

ونحن نرجح الاشتقاق الأول، لأنه صريح فى الدلالة على معنى اللغة وهو الأصل.

تعريف اللغة

اختلفت أنظار العلماء للغة وفاقاً للمناهج التى يدرسونها، ففريق يعرفها على أساس عقلى أو نفسى، فهى عندهم : استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر. ومن هذا الفريق العالم الأمريكى ساير.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه أهمل استخدام اللغة فى التعبير عن الشعور والعواطف، واستخدامها للترفيه والتسلية وقصرها على التعبير عن الأفكار فقط.

وفريق آخر وهم علماء الفلسفة والمنطق نظروا إليها باعتبار وظائفها.

يقول الأستاذ جفونز : للغة ثلاث وظائف :

١- كونها وسيلة للتوصيل.

٢- كونها مساعداً آلياً للتفكير.

٣- كونها أداة للتسجيل والرجوع.

وهؤلاء أيضاً قصرُوا وظيفة اللغة على نقل الأفكار كالفريق

السابق.

أما علماء الاجتماع فقد نظروا إلى وظيفتها فى المجتمع فعرفها العالم الأمريكى ادجار ستريتفنت بأنها : نظام من رموز ملفوظة عرفية بوساطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة^(١).

وعرفها اللغوى العبقري ابن جنى بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) (١).

قال ابن سيده (٢) تعليقا على هذا التعريف بعد أن ذكره: «وهذا حد دائر على محدود محيط به لا يلحقه خلل إذ كل صوت يعبر به عن المعنى المقصود في النفس لغة، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعنى المتصور في النفس» (٣).

وعلق عليه الدكتور محمود حجازى بقوله: «وهذا التعريف دقيق، ويتفق في جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، وبين أيضاً أن وظيفتها الاجتماعية هي التعبير ونقل الفكر في إطار البيئة اللغوية، ويذكر كذلك أنها تؤدي وظيفتها في مجتمع بعينه فلكل قوم لغتهم» (٤).

وبهذا يظهر لنا دقة تعريف القدماء للغة.

(١) ابن جنى : الخصائص (تحقيق محمد على النجار. دار الهدى للطباعة والنشر -

بيروت ط ١) : ٣٣/١.

(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، الضرير الأندلسي اللغوى المتوفى

سنة ٤٥٨ هـ من مصنفاته : المحكم والمخصص. (هدية العارفين : ١/٦٩١).

(٣) ابن سيده : المخصص (ط. بولاق) : ٦/١.

(٤) د. محمود حجازى : اللغة العربية عبر القرون (مطابع دار الكاتب العربى

١٩٦٨م) : ص ٤.

اللهجة

اشتقاقها :

جاء فى لسان العرب : «لِهَجَّ بِالْأَمْرِ لَهَجًا أُولِعَ بِهِ وَاعْتَادَهُ، وَاللَّهَجُ بِالشَّيْءِ : الْوُلُوعُ بِهِ.. وَالْفَصِيلُ يَلْهَجُ أُمَّهُ إِذَا تَنَاوَلَ ضَرْعَهَا يَمْتَصُّهُ... وَلِهَجَ الْفَصِيلُ بِأُمِّهِ يَلْهَجُ، إِذَا اعْتَادَ رَضَاعَهَا» (١).

وجاء فى المصباح المنير : «لِهَجَ الْفَصِيلُ يَضْرِعُ أُمِّهِ : لَزَمَهُ» (٢).
واللهجة صالحة لأن تؤخذ من لِهَجَ بالمعنى الأول، وهو الولوع والاعتیاد ، أو الثانى وهو تناول الضَّرْعِ وامتصاصه واعتیاد الرضاعة والملازمة، وان كان الثانى أسبق من الأول، لأنه حِسِّيٌّ ويلزمه الولوع خصوصاً إذا نظرنا إلى أن الفصيل كما جاء فى القاموس «وَلَدُ الناقةِ إِذَا فُصِّلَ عَنْ أُمِّهِ» (٣) فكانه على الرغم من فصاله عن أمه مولع بلبنها. واللهجة التى تعنى طريقة معينة فى أداء اللغة تحمل معنى الولوع بهذه الطريقة التى تؤخذ من القوم الذين ينتمى إليهم صاحبها ويتعود الأداء بها.

وقد أطلقت اللهجة على اللسان، وعلى طرفه، وأطلقت أيضاً على جرس الكلام، ولغة الإنسان التى جيل عليها فاعتادها ونشأ عليها، كما ورد فى لسان العرب (٤).

(١) لسان العرب : ل ه ج .

(٢) المصباح المنير : ل ه ج .

(٣) الفيروزابادى : القاموس المحيط : ف ص ل .

(٤) انظر لسان العرب ل ه ج ..

ولا تخفى علينا العلاقة بين اللسان وتناول الفصيل ضرع أمه
ليمتصه، كما لا تخفى علينا العلاقة بين اللسان ولغة الإنسان وجرس
الكلام.

جاء في تاج العروس: «يقال : فلان فصيح اللهجة وهى لغته
التي جبل عليها واعتادها ونشأ عليها، وبهذا ظهر أن إنكار شيخنا
على من فسرهما باللغة لا الجارحة قصور ظاهر كما لا يخفى (١)» .
«واللهجة بفتح الهاء، وإسكانها لغة» (٢).

تعريفها

هى في الاصطلاح العلمى الحديث مجموعة من الصفات اللغوية
تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشارك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه
البيئة.

وتلك الصفات التى تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر فى الأصوات
وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذى يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض
الاختلاف الصوتى فى غالب الأحيان، فيروى مثلاً أن قبيلة تميم كانوا
يقولون في فُزْتُ : فُزْدُ، كما يروى أن «الأَجْلَحَ» وهو الأصل ينطق بها
«الأجله» عند بنى سعد.

وقد تتميز اللهجة بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة
ونسجها، أو معانى بعض الكلمات. فيروى أن بعضاً من تميم كانوا
يقولون مديون وغيرهم يقول مدين في اسم المفعول من الفعل الثلاثى
الأجوف اليائى، وأن بنى أسد كانوا يقولون : «سكرانة» بدلا من
«سكرى» التى كان ينطق بها سائر العرب.

(١) الزبيدي : تاج العروس : ل ه ج .

(٢) المصباح المنير : ل ه ج .

كما ورد أن كلمة «الِهْجَرِس» عند أهل الحجاز بمعنى القرد وعند تميم بمعنى الثعلب.

ويجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التي ترجع إلي بنية الكلمة ودالاتها من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها بعيدة عنها عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة، لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة بعدت باللهجة عن أخواتها، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها^(١).

وأهم الصفات الصوتية التي تؤدي إلي الخلف بين لهجات اللغة الواحدة مايلي :

- ١- الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية، كالجيم العربية والجيم القاهرية، فالأولى من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، والثانية من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.
- ٢- الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات، مما يترتب عليه الخلاف في نطق الحرف نفسه، كترقيق حرف عند قبيلة وتفخيمه عند قبيلة أخرى.
- ٣- الاختلاف في مقاييس أصوات اللين، وهي حروف المد عند القدماء، فإن أي انحراف فيها يؤدي إلى اختلاف النطق بين الناطقين بها، ولذا فإن لها أثراً كبيراً في تعلم اللغات، لشيوعها في الكلام، ووضوحها في السمع، وبرز الخلل منها عند أي انحراف يصيب نطقها.

(١) د. أنيس : في اللهجات العربية : ص ١٦ ، ١٧ .

٤- التباين فى النغمة الموسيقية للكلام، فكل بيئة لها نغمتها الخاصة فى النطق.

٥- الاختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها، كقلب الواو تاء إذا وقعت فاء لافتعل، فجمهرة العرب تقول: اتصل والحجازيون يتركون الواو متأثرة بالحركات السابقة عليها، فتقلب إلى حروف مجانسة لتلك الحركات، فيقولون :
يتصل^(١).

وليس من الضروري أن توجد كل هذه الفروق ممثلة فى لهجات لغة من اللغات، بل قد يوجد بعضها فقط، وتتبعاد اللهجات أو تتقارب على قدر اشتغالها على تلك الصفات، وعلى قدر شيوع هذه الصفات فيها^(٢).

العلاقة بين اللغة واللهجة

اللغة أعم من اللهجة والعلاقة بينهما هى العلاقة بين العام والخاص، فاللغة عادة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات^(٣).

واللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها، وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفى بحاجات المجتمع الذى تعيش فيه فإن

(١) د. نجما: اللهجات العربية : ص ٩ ، ١٠ . ود. أنيس: فى اللهجات العربية ص ١٩ .

(٢) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ١٩ .

(٣) نفسه : ص ١٦ .

العوامل اللغوية تحتم على الباحثين إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة^(١). فاللغة تشبه تلك الشجرة التي تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة وترسل في الأرض جذوراً تصبح أشجاراً كبيرة فيما بعد، وقد تموت الشجرة الأم ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة، وإذا قلنا إن اللغة تموت كما تموت الأشجار فالمقصود بالموت التغيير الكلي الذي يطرأ على المجتمع، والتحول الجذري في الحياة، وفي الظروف المحيطة بالحياة، إلى حد نستطيع فيه القول بأن لغة اليوم مغايرة للغة الأمس، أليست العربية والعبرية والبابلية والفينيقية تمثل فروعاً لشجرة واحدة أصبحت أشجاراً جديدة تتفرع من جديد؟^(٢).

واللغة واللهجة ترتبطان بالصوت، وإن كانت جهة الارتباط مختلفة، فاللغة ترتبط به من حيث وفاقه بالمطلوب منه في إفادة المعنى الموضوع إزاءه، وتمييزه عما عداه تمييزاً تاماً، واللهجة ترتبط به من حيث صورة النطق وهيئته^(٣).

وببدولي أن القدماء من علماء العربية كانوا على طريق مستقيمة حين كانوا يطلقون اللغة على اللهجة، فقد سبق ما جاء في المصباح المنير «لَفِيَ بِالْأَمْرِ يَلْفَى مِنْ بَابِ تَعَبَ : لَهَجَ بِهِ، وَيُقَالُ : اشْتَقَاقُ اللُّغَةِ مِنْ ذَلِكَ» فَفُسِّرَ اللَّغْوُ بِالْأَمْرِ بِاللَّهَجِ بِهِ، فَلَعَلَّهُمْ قَدْ نَظَرُوا إِلَى تِلْكَ الصَّلَةِ بَيْنَهُمَا.

(١) د. نجما : اللهجات العربية : ص ١١.

(٢) د. أنيس فريجة : نظريات في اللغة (دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٣م

ط ١٦) ص ٤٩، ٥٠.

(٣) د. نجما : اللهجات العربية : ص ١١.

ولم يزل أثر ذلك الاستعمال القديم موجوداً إلى اليوم على ألسنة العامة عندنا، فيقولون: «فُلَانٌ لَفَوْتَةٌ كَبِيدَةٌ»، ويقصدون لهجته. وقد سمعتُ بِمَنَاطِ مَدِينَةِ الزقازيق رجلاً يقول لآخر: «لَفَوْتُنَا رَاجِلٌ جَدَّعٌ، وَلَفَوَّةُ الصعايدة رَادِلٌ دَدَّعٌ» وهو ينكر عليه، فراح يحتكم إلي ثالث. وقد سرنى حديث الرجلين عن اللغات أى اللهجات.

التوزيع الجغرافى للغة واللهجة

ليس من اليسير التحديد الدقيق للحدود الجغرافية التى تفصل بين اللغات، أو بين لهجات اللغة الواحدة، لأنه وإن أمكن وجود فواصل جغرافية بين بعض اللغات فليس من السهولة وجود تلك الفواصل بين اللهجات للتداخل القوى بينها، بل إنه توجد أماكن دون فواصل ويتكلم بعضها بلغة وبعضها الآخر بلغة أخرى، كما يشاهد ذلك فى القرى الشمالية الواقعة على الحدود بين سوريا وتركيا فإن أبناء هذه القرى يتكلمون العربية والتركية جنباً إلى جنب مما يوجد صعوبة فى رسم الحد الجغرافى الفاصل بين الناطقين بتلك اللغات، وكما هو حاصل فى سويسرا، فإن فيها أربع لغات قومية، هى الألمانية، والفرنسية، والإيطالية والرومانية، فلكل منطقة لغة خاصة، ولكن الاختلاط الاجتماعى والوحدة السياسية أدبا إلى تداخل الحدود بين هذه اللغات ولذلك يصعب رسم خطوط جغرافية تميز بين حدود هذه اللغات للترابط بين أفراد هذه الأمة، ولذا يمكن أن يكون الفاصل فى مثل هذه الحالة وأضرابها قرية أو شارعاً.

وإذا بدت لنا صعوبة رسم خط جغرافى فى بعض الحالات التى ترتبط فيها اللغات ارتباطاً وثيقاً، فإن ذلك يعطينا صورة واضحة عن

صعوبة رسم هذا الخط الذى يوضح الحدود بين لهجات اللغة الواحدة للتشابه القوى والترابط الشديد بين أبناء الأمة على الرغم من توزعهم اللهجى.

وقد أدت تلك الصعوبات إلى قول بعض اللغويين إنه لا توجد ظواهر لغوية صوتية ونحوية ومعجمية تميز تمييزاً تاماً بين منطقة وأخرى، ولذا اتجه فريق من هؤلاء العلماء إلى نفى وجود لهجات فى اللغة الواحدة لصعوبة التمييز، ومن هؤلاء «جاستن بارى» فقد قال : ليست هناك حدود حقيقية تفصل الفرنسيين أهل الشمال من أهل الجنوب، إن لغتنا العامية تنتشر فى طول البلاد وعرضها بصورة تشبه لوحة ذات ألوان مختلفة، ولكنها جميعاً يتداخل بعضها ببعض بدرجة لا تسمح برؤية الانتقال التدريجى من نقطة إلى أخرى.

ويؤيد تلك الوجهة «جوهان شميدت» صاحب نظرية الموجة التى يري فيها أن كل ظاهرة لغوية تنتشر كالموجة فوق كل منطقة، وأن كل موجة من هذا النوع ليست لها حدود معينة فى تقدمها التدريجى، وقد استخلص «شميدت» هذه النظرية من دراسته التى أجراها فى اللغات الهندية الأوروبية، حيث لم يجد اتحاداً بين خطوط توزيع الظواهر اللغوية المختلفة بدرجة تسمح بالقول بوجود لهجات مختلفة.

وقد عارض «ميبه» وجهة «شميدت» فى نفى اللهجات الهندية الأوروبية بناء على التداخل المقام بين اللهجات الذى يجعل الصعوبة قائمة فى وضع خطوط دقيقة للهجات المختلفة، وبنى «ميبه» رأيه على أنه من الممكن القول بوجود لهجات مختلفة مهما اتحدت تلك اللهجات، ويتحقق ذلك بالتعرف على السمات والخصائص التى تتحد فى

منطقة ولا توجد فى منطقة أخرى، وعلى ذلك فإن الرسم الجغرافى لا يتحقق بناء على أمكنة من قرى أو شوارع، وإنما تحدده السمات والخصائص.

وبهذا يتضح لنا أن اللهجات فى اللغة العربية الواقعة بين الأمم المتعاقبة هى لهجات وليست لغات فالعربية السورية والعربية العراقية والعربية الأردنية هى لهجات للغة العربية^(١).

ورأى «ميسيه» السابق هو رأى المختار، فعن طريق الأطالس اللغوية أمكن رسم الحدود اللغوية للهجة فى اللغات الغالية الرومانية على أساس رسم حدود الظواهر اللهجية، فكل لهجة تبدو فى صورة مجموع يحمل صفات خاصة تناقض بها اللهجات الأخرى.

وبهذه الطريقة أصبحت معرفة الأحداث اللغوية وحدودها سهلة ويسيرة، فما على الباحث إلا أن يتصفح الخرائط ليجد أمامه الحدود الخاصة بكل حدث لغوى، لأن لكل حدث لغوى مجال انتشاره الخاص به^(٢).

(١) د. نجما: اللهجات العربية : ص ١٤ وما بعدها.

(٢) د. إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية : ص ٢٦.

أسباب وجود اللهجات

من أهم العوامل التى تؤدى إلى تفرع اللغة إلى لهجات مايلي :

١- انتشار اللغة في مناطق واسعة، فمن المقرر في نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدها الأولى أمدا طويلاً بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصبح كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومه إلا لأهلها وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض في كثير من الوجوه ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى.

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر، وكثيراً ما يبقى الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه، فقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية والبرتغالية، لغة رومانيا....) ولكنها تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات. وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المتفرعة من العربية حتى أصبح بعضها شبه غريب عن بعض، فلهجة العراق ولهجات شمال أفريقيا فى العصر الحاضر مثلاً يجد المصرى بعض الصعوبة فى فهمها غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين.

ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى مايلي :

(أ) أن تشتبك اللغة فى صراع مع لغة أو لغات أخرى، وتقضى نواميس الصراع اللغوى أن يكتب لها النصر، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة، فيتسع بذلك مدى انتشارها، وتدخل أمم جديدة فى عداد الناطقين بها كما حدث للاتينية فى العصور القديمة، وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوروبا الوسطى، وكما حدث للعربية، إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشية.

(ب) أن ينتشر أفراد شعب ما على إثر هجرة أو غزو فى مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى، وتتكون من سلاتهم بهذه المناطق أمة أو أمم كثيرة السكان فيتسع بذلك مدى انتشار لغتهم، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ويكثر أفرادها، فقد نجم عن هجرة الفرنسيين إلى قسم من كندا أن أصبحت الفرنسية لغة لهذا القسم كما نجم عن استعمار الإنجليز السكون لأمریکا الشمالية واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا أن انتشرت الإنجليزية فى هذه المناطق الشاسعة، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ثلاثمائة مليون موزعين على مختلف قارات الأرض.

(ج) أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعى فى أوطانها الأصلية نفسها، فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها فى الزيادة المطردة، وتنشط حركة العمران فى بلادها فتكثر فيها المدن والقرى، وتتعدد الأقاليم والمناطق فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية، فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية ما يزيد على ٧٠ مليوناً.

٢- العوامل الاجتماعية السياسية التى تتعلق باستقلال المناطق التى انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض وضعف السلطان المركزى الذى كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، فإذا ما انقسمت دولة إلى دويلات أدى ذلك إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية، فإن انفصام الوحدة السياسية يؤدى إلى ذلك.

٣- العوامل الاجتماعية النفسية الأدبية، وتثقل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحى التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف فى هذه الأمور يتردد صدها فى أداة التعبير.

٤- العوامل الجغرافية، وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك، وفيما يفصل كل منطقة عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات، فاختلاف المناطق فى ذلك يؤدى عاجلاً أو آجلاً إلى فروق وفواصل فى اللغات^(١).

ويشير المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى كتابه (تاريخ آداب العرب) إلى أهمية طبيعة الإقليم وأثره فى النطق الإنسانى فيقول: «وعلى هذا تجد منطق الإنجليزى لعهدنا كأنه نفخ آلة تدار بالفحم الحجرى، وتكاد تحسب منطق الفرنسوى غناء موسيقياً، وهكذا مما لو تدبرت حقيقة الاختلاف فيه لرأيتها دلالة طبيعية على اختلاف الأقاليم، كأن الطبيعة تسم الألسنة كما تسم الوجوه،

(١) د. وافي: علم اللغة (دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٧) : ص ١٦٩ وما بعدها.

وكانها مصنع إنسانى فلا يخرج منه كل إنسان إلا برقمه
وسمته^(١).

٥- العوامل الشعبية، وتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من
فروق الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول
التي انحدروا منها، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارا بليغة فى
تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

٦- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب، فمن المقرر أن هذه
الأعضاء تختلف فى بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً
لاختلاف الشعوب والتي تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلى
الخلف.

٧- التطور الطبعى المطرد لأعضاء النطق، فمن المقرر أن أعضاء
النطق فى الإنسان فى تطور طبعى مطرد فى بنيتها واستعدادها
ومنهج أدائها لوظائفها فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا
وحلقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا
الأولين، إن لم تكن فى بنيتها الطبيعية فعلى الأقل فى
استعدادتها، بل إنها لتختلف فى ذلك عما كانت عليه عند آبائنا
الأولين.

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث فى أعضاء النطق أو
استعداداتها يتبعه تطور فى أصوات الكلمات، فتتحرف هذه الأصوات
عن الصورة التى كانت عليها إلى صورة أخرى أكثر منها ملائمة مع
الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق.

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب (مطبعة الأخبار بمصر ١٩١٢) : ١/٢٦٥.

ومن آثار هذا ما حدث للعربية في أصوات الجيم والشاء والذال والطاء والقاف، فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان في كثير من البلاد العربية، وأصبح نطقها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصاً وجهداً إرادياً وقيادة مقصودة لحركات المخارج، ولعدم ملائمتها للحالة التي انتهت إليها أعضاء النطق في هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلى أصوات أخرى قريبة منها، فصوت الجيم الذي كان ينطق به «معطشا» بعض «التعطيش» في العربية الفصحى قد تحول في معظم المناطق المصرية إلى جيم غير «معطشة» وفي معظم المناطق السورية والمغربية إلى جيم «معطشة» كل «التعطيش». والشاء قد تحولت إلى تاء في معظم المناطق المصرية وفي بلاد أخرى مثل : ثعلب وثعبان وثلاثة وثمانية التي تنطق ثعلب وثعبان وتلاته وثمانيه. والذال قد تحولت في كثير من المناطق العربية إلى دال في معظم الكلمات، مثل ذراع، ذهب ذبح، فيقال : ذراع ذهب ذبح، وإلى زاي في بعض الكلمات مثل ذنب، ذهن، فيقال: زنب، ذهن. والطاء قد تحولت إلى ضاد في معظم الكلمات، مثل: ظل، ظهر، فيقال: ضل، ضر، وإلى زاي مفخمة في بعض الكلمات مثل: ظالم، وظريف، وأظن. والقاف قد تحولت إلى همزة في بعض اللهجات المصرية والسورية وغيرها فيقال : نطاً، آل، عاد، بدلاً من نطق، قال، عقد، وإلى جيم غير «معطشة» في معظم اللهجات العامية في مصر وغيرها من البلاد العربية، فيقال في الكلمات السابقة: نطج، جال عجد. ولا يزال صوت القاف محتفظاً بنطقه الصحيح في كثير من الكلمات في عامية العراق وتونس وبعض بلاد سوريا وعامية رشيد.

كما أن صوت الشاء والطاء والذال لم يزل ينطق نطقاً صحيحاً في عامية الحجاز ونجد والعراق والمغرب.

٨- الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة، فقد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدرج كوقوعه في آخر الكلمة وزيادة عن بنيتها، وعدم توقف المعنى المقصود عليه، فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئاً حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع، فحينئذ يكون عرضة للسقوط، وذلك أن معظم الصغار في هذا العصر لا يكادون يتبينونه في نطق الكبار، فينطقون بالكلمات مجردة منه.

٩- موقع الصوت في الكلمة يعرضه لكثير من صنف التطور والانحراف، وأكثر ما يكون ذلك في الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات، سواء أكانت هذه الأصوات أصوات مد أو أصواتاً ساكنة.

وكان لهذا العامل والذي قبله مع غيرهما أثر كبير في سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العربية العامية اليوم المتشعبة من الفصحى.

١٠- تناوب الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض، فمن ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية تبين أن الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، تميل بطبيعتها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض، فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه في مخرجه أو قريب منه. وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال في انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات.

١١- تغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف إلى الخلف فكثيراً ما
ينجم عن هذا الانتقال تطور في معانى المفردات، ويساعد على
ذلك كثرة استخدام بعض المفردات في غير ما وضعت له عن طريق
المجاز، فقد يكثر استخدام الكلمة في جيل ما في بعض ما تدل
عليه، أو في معنى مجازي تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات،
فيعلق المعنى الخاص أو المجازي وحده بأذهان الصغار ويتحول
بذلك مدلولها إلى هذا المعنى الجديد^(١).

تلك هي أهم الأسباب في نشأة اللهجات في أى لغة من اللغات
وقد توجد كلها في لغة ما أو بعضها على الأقل.

ولغتنا العربية ليست بدعاً من اللغات فهي كسائر اللغات تخضع
للنواميس اللغوية العامة التى تخضع لها تلك اللغات في حياتها
وتطورها.

وإذا تأملنا الأسباب السابقة نجد أنها من أهم عوامل إيجاد
اللهجات العربية القديمة والحديثة.

(١) د. وافي : فقه اللغة (دار نهضة مصر ط ٨) : ص ١٣٤ وما بعدها.

عوامل التوحيد اللغوي وتكوين اللغة المشتركة

كما أن هناك عوامل تؤدي إلى انقسام اللغة الواحدة إلى لهجات كما سبق، فإن ثمة عوامل تؤدي إلى الوحدة اللغوية وتكوين اللغة المشتركة، تلك اللغة التي لا يمكن نسبتها لبيئة بعينها أو إقليم بعينه، وإنما تتخلص من الخصائص اللغوية المحلية وتتميز بخصائص لغوية عامة غير مرتبطة بإقليم من الأقاليم أو بيئة من البيئات، وبهذه اللغة المشتركة يستطيع أبناء الأقاليم المختلفة أن يتفاهموا بها دون عسر أو مشقة .

وقد دلت الملاحظة على أنه حين تقوى الصلة بين أفراد الجماعة اللغوية وتسهل بينهم وسائل الاتصال والارتباط مادية كانت أو ثقافية تتكون لهم مع الزمن لغة مشتركة تقرب بينهم وتعينهم على تفاهم أسرع وأيسر وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية، ثم قد تصبح بعد ذلك وسيلة للمتعة حين تتخذ للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم في كل نتاج أدبي جميل .

ويجمع اللغويون المحدثون على أن أهم معالم كل لغة مشتركة يمكن أن تلخص في الصفتين التاليتين :

أولاهما : أنها مستوى لغوي أرقى من لهجات الخطاب في غالب الأحوال أي أنها ثابتة الأركان والدعائم قد استقر أمرها على قواعد ونظم لا تسمح لها بالتغيير أو التطور إلا في القليل من الأحيان وبعد أجيال من الاستعمال . وهي لذلك يتخذها الناس مقياساً لحسن القول وإجادة الكلام .

الصفة الثانية : هي التي عبر عنها «هنرى سويت» بقوله :
هي اللغة التي لا يستطيع السامع أن يحكم علي المنطقة المحلية التي
ينتمى إليها المتكلم بها. أى أن اللغة المشتركة وإن تأسست في بدء
نشأتها على لهجة منطقة معينة فقد فقدت مع الزمن أو نسي الناس في
أثناء استعمالها كل المنايع التي استمدت منها عناصرها، وأصبح لها
كيان مستقل، فلا تذكرنا في أثناء التكلم بها أو سماعها بمنطقة خاصة
أو طبقة خاصة، بل يشعر كل من السامع والمتكلم أنها ملك الجميع،
لا يدعيها لأنفسهم قوم بأعينهم، ولا تنسب إلى بيئة معينة، وهي لذلك
تكتسب الاحترام من الناس جميعاً فلا يسخر منها أحد ولا ينقدها أحد،
بل يلجأ إليها الجميع ليتخذوا منها العصا السحرية التي تقضى لهم
مصالحهم التي تؤثر في السامعين تأثيراً قوياً^(١).

ومن العوامل التي تساعد علي الوحدة اللغوية وتكوين اللغة
المشتركة مايلي :

١ - الدين

الدين عامل مهم من العوامل التي تساعد علي الوحدة اللغوية
وإيجاد اللغة المشتركة بما يتمثل فيه من اجتماعات دينية يدعو إليها
كالاجتماع في الحج وصلاة الجماعة والعيدين في المساجد والندوات
الدينية وغير ذلك .

وقد كان للحج قبل الإسلام أثر كبير في التقارب بين اللهجات
العربية حين كانت تفرق القبائل إلى مكة لأداء شعائره، بل كان عاملاً من
عوامل سيادة لهجة قريش بعد أن اصطفت من تلك اللهجات ما اصطفت،

(١) د. أنيس: مستقبل اللغة العربية المشتركة (مطبعة الرسالة) ع: ٦٠٥، ٢.

وتخبرت منها ماتخبرت ، ففي هذه الاجتماعات الدينية يتخلى المجتمعون عن الظواهر اللغوية الخاصة بلهجاتهم، ويستخدمون لغة مشتركة يسهل التفاهم بها في أمورهم ويفهمها المجتمعون .

٢ - الأدب

للأدب أثر بارز في نشر اللغة المشتركة سواء أكان شعراً أم نثراً، لأن الشعراء والأدباء يهدفون إلى نشر إنتاجهم وما تجود به قرائهم بلغة يفهمها من يقرأ أو يسمع ما يقولون أو يكتبون كي يتحقق لهم ما يرجون من علو منزلة وسمو مكانة، ولن يتحقق هدفهم إلا إذا كان بلغة عامة خالية من الخصائص المحلية للهجات .

ولا يغيب عنا أثر الأدب في نشر اللغة المشتركة في العصر الجاهلي حين كان يعرض ما تجود به من قرائح الشعراء في أسواق الجاهلية، كسوق عكاظ الذي سبقت الإشارة إليه، وسوق مجنة وغيرهما من أسواق العرب ، فقد كان حرص الشعراء علي أن يذيع صيتهم وينتشر شعرهم ، ويعلو ذكركم، دافعاً إلى صياغة هذا الشعر بلغة يفهمها المجتمعون، لذا كان الأدب من العوامل المهمة في نشر اللغة المشتركة، ولذا كان ما انتهى إلينا من شعر ونثر مما قالته العرب جاء بلغة موحدة اللهم إلا في القليل النادر حيث حافظ بعض الشعراء على لهجة إقليمهم، فجاء شعر يمثل لهجة بعض الأقاليم، وهو من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحث اللغوي في دراسة اللهجات العربية القديمة.

٣ - الخدمة العسكرية والحرب

لا اجتماع الجنود في الجيش من شتى البقاع ومختلف الأصقاع دور مهم في إيجاد اللغة المشتركة، فالاختلاط بينهم يدفعهم إلى التخلي عن

أغلب الخصائص المحلية للهجاتهم فى حديثهم لاسيما تلك التى قد تدعو إلى السخرية منهم أو الاستهزاء بهم، واللجوء إلى لغة مشتركة يتفاهمون، بها وهؤلاء الجنود يعملون تحت قيادة واحدة ولكى ينفذوا ما يصدر إليهم من أوامر من هذه القيادة دون تقصير أو إبطاء فلا مناص من إصدار الأوامر إليهم بلغة يفهمها الجميع .

والحرب بما تجره من دمار وهلاك تدفع القيادة المسئولة عن إدارة العمليات العسكرية إلى نقل سكان بعض المدن والمناطق التى تقع فى ميدان القتال ومسرح العمليات العسكرية إلى مناطق أخرى أكثر أمناً حفاظاً على حياتهم ودرماً للخطر عنهم، كما حدث إبان حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل قبل حرب العاشر من رمضان المجيدة، إذ تم نقل سكان مناطق قناة السويس إلى داخل مدن وقرى وطننا العزيز، وتم اختلاط هؤلاء السكان بغيرهم من أبناء الوطن .

وهذا الاختلاط يساعد على وجود لغة مشتركة يتم التفاهم بها، وإلى التخلّى عن الخصائص المحلية للهجات المختلفة .

٤ - الإذاعة والتليفزيون

الإذاعة والتليفزيون من وسائل الإعلام الخطيرة التى تساعد على الوحدة اللغوية وإيجاد اللغة المشتركة، فما يذاع فيهما باللغة الأدبية له أثر كبير فى هذا المجال لاسيما إذا حاول المستمعون تقليد المذيع أو المتكلم فيهما، وبخاصة إذا كان المتكلم من ذوى المكانة المرموقة، فكلمة «بدء» بفتح الباء وسكون الدال كان ينطقها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر - رحمه الله - بكسر الباء فى خطبه، وقد شاع هذا النطق على ألسنة كثير من المتعلمين ، مما يدل على تأثير الإذاعة والتليفزيون فى نطق المستمعين.

وحسبك أن ترى تقليد كثير من الشباب والأطفال لما يذاع فيهما
من أشياء تحظى بإعجابهما .

٥ - الصحافة

اصطلح على تسمية الصحافة بصاحبة الجلالة لما لها من تأثير
خطير على الرأي العام، وللصحف والمجلات الدورية دور مهم في الوحدة
اللغوية وتكون اللغة المشتركة، لأن ما يكتب فيها من أخبار وآراء
يكتب بلغة يفهمها الجميع .

٦ - إقامة المعارض والأسواق

لاشك أن الاختلاط في الأسواق والمعارض له دور في الوحدة
اللغوية، وكذا الاختلاط الذي يتم في اللقاءات السياسية والاجتماعية
 وإقامة المباريات الرياضية، إذ هذا الاختلاط يتطلب وجود لغة مشتركة
 يتفاهم بها المجتمعون في تلك الأسواق وتلك المعارض وغيرهما، وهذا
يؤدي إلى القضاء على الخصائص المحلية اللهجات، ويساعد على الاتجاه
نحو اللغة المشتركة التي تحقق الهدف من الاجتماع .

٧ - الزواج المختلط

الزواج المختلط يساعد على تقريب اللهجات والاتجاه نحو اللغة
المشتركة، إذ يتم التفاهم بين الأب والأم بلغة مشتركة يتخلى فيها كل
منهما عن الخصائص الخاصة بلهجته، وينشأ الأطفال حافطين لهذه اللغة
المشتركة بعد سماعهم لها من الآباء والأمهات .

٨ - المدن الكبرى

المدن الكبرى يرتادها كثير من الناس للإقامة بها أو لقضاء حوائجهم، وفي هذه المدن يتجه الجميع إلى لغة مشتركة يتم التفاهم بها بعد التخلص من الخصائص المحلية للبيئات المختلفة التي ينتمون إليها، وبخاصة إذا كانت تلك اللهجات تجلب لصاحبها حرجاً أو تجعله موضع تهكم أو استهزاء أو تخلع عليه وصف التخلف أو التأخر.

٨ - الوحدة السياسية

في الوحدة السياسية يتم الخضوع لحكومة مركزية تشرف على الأقاليم المختلفة التي ضمتها تلك الوحدة، ولن يتم التفاهم بين سكان هذه الأقاليم وتلك الحكومة.

التفاهم بين سكان هذه الأقاليم وتلك الحكومة إلا إذا كانت هناك لغة مشتركة يمكن التفاهم بها حتى يتم قضاء الحاجات وتنفيذ السياسات المختلفة للدولة وهذا يساعد على التخلي عن الصفات المحلية للهجات الأقاليم المختلفة^(١).

١٠ - الجامعات والمدارس

إن انتشار التعليم وانتشار المدارس والجامعات من العوامل المهمة التي تساعد على تكون اللغة المشتركة، إذ في هذه المدارس والجامعات يتم الاختلاط بين الطلاب وجلهم من بيئات مختلفة، والتفاهم بينهم لن يتم إلا بلغة مشتركة يفهمها الجميع والتخلي عن الصفات المحلية للهجات، خصوصاً تلك التي تدعو إلى السخرية والاستهزاء،

(١) ينظر: اللهجات العربية: د. نجما ص ٢٣ وما بعدها واللهجات العربية: د.

إبراهيم أبو سكين ص ٣٩ وما بعدها ومعالم اللهجات العربية: د. عبد الحميد

أبو سكين: ص ٤١ وما بعدها.

أضف إلي هذا حاجة أولئك الطلاب إلى لغة مفهومة لديهم يتلقون بها دروسهم في فنون العلم المختلفة وحاجتهم إلى قضاء حوائجهم لدى إدارة المدرسة أو الجامعة مما يتعلق بشئونهم وما يتطلبه هذا من وجود تلك اللغة المشتركة التي يمكن التفاهم بها عند قضاء تلك الحوائج .

١١ - العمل فى دواوين الحكومة والمصانع

اجتماع العاملين فى أماكن عملهم وانتماؤهم إلى بيئات مختلفة من عوامل تكوين اللغة المشتركة والتخلى عن السمات المحلية للهجات، لأن هؤلاء العاملين محتاجون إلى لغة يتم التفاهم بها فيما بينهم حتى يمكن أداء ما يكلفون به من أعمال، وقد أصبحت المصانع الآن تضم آلافاً من العمال ينتمون إلى بيئات مختلفة، ولاشك أن هذا الاجتماع الكبير يؤدى إلى التخلص من الصفات المحلية للهجات ويتطلب وجود لغة مشتركة مفهومة عند الجميع .

هذه هى العوامل التى تؤدى إلى التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة وهى قائمة على قوة الاتصال والاختلاط بين البشر ولكن ينبغى كما يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجبا - رحمه الله - « أن نضع نصب أعيننا أن أسباب التوحيد مهما تقوت وتأصلت أمورها فلا يمكن الادعاء بأن التوحيد التام بين لهجات اللغة الواحدة بالأمر الهين الذى يمكن تحقيقه بيسر وسهولة، لأن علماء الاجتماع يقررون كما هو مأخوذ من الواقع أن الظروف الاجتماعية مهما زالت الفروق الطبقية ، ومهما كثرت عوامل الاختلاط لا يمكن أن تؤدى إلى التوحيد التام بين اللهجات المختلفة، فضلاً عن ذلك فإنه من المعروف أن كل بيئة تحتفظ ببعض الألوان اللغوية فى لهجاتها مهما كان الاندماج تاماً، وهذا أمر يتيسر تحقيقه بين كل الطبقات لافرق بين طبقة وطبقة فى الثقافة، أو طبقة عليا

وصلت إلى أوج الرقى الثقافى، لأننا لو عرضنا لبعض المثقفين وتحدثنا إليهم بعيداً عن جو ثقافتهم لوجدنا منهم تمسكاً ببعض خواص لهجاتهم المحلية وسيراً فى نطاقها على النمط الذى تعودوه منذ نعومة أظفارهم، فقد يدعوهم إلى التمسك بتلك اللهجات التعصب للإقليم الذى ينتسبون إليه، أو الفخر المبني على التعصب بناحية خاصة، أو السير وفق تلك اللهجات حتى لا يرمى من يحيد عنها بالتنكر لأصله وبيئته، ويظهر ذلك بصورة جلية فى الأقاليم المتخلفة عن الرقى الفكرى والحضارى والتي برز فيها أفراد قليلون وسموا إلى مكانة مرموقة، فإنهم يخشون اتهام ذوبهم لهم بالتنكر لموطنهم الأسمى فيضطرون عند اللقاء بأهليهم فى موطنهم الأسمى أو فى أى مكان أن يحافظوا فى نطقهم على ماتعودوه فى وطنهم الأول فراراً من توجيه لائمة التنكر لموطنهم وذوبهم، وهذا أمر يئى ملموس لا يحتاج إلى أمثلة واقعية توضح شأنه^(١).

وحدة النطق في العالم العربي

كانت اللغة العربية الفصحى قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية تجرى على ألسنة العرب سليقة يتفاهمون بها دون حاجة إلى تعلمها، على الرغم من وجود بعض الفروق اللهجية التي أوجدتها طبيعة المناطق التي عاشت فيها القبائل العربية، إذ لم تكن تلك الفروق من القوة بحيث تعوق تفاهم تلك القبائل أو تمنعه، وإنما كانت فروقاً يسيرة محدودة، وحين جاء الإسلام الحنيف بتعاليمه الغراء للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور غمر هذا النور شبه الجزيرة العربية، وبدأ يخرج إلى الأمم والبلاد المجاورة حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وقد حمل تعاليم الإسلام إلى تلك البلاد العرب المسلمون الذين كان عليهم أن يبلغوا تلك التعاليم السمحة إلى أهل البلاد التي فتحوها، وكان أهل تلك البلاد يتكلمون لغة تخالف لغتهم، ومن هنا نشأ صراع بين اللغة العربية الغازية ولغات الأمم الأخرى المغزوة، وكان ذلك الصراع يضعف أو يشتد وفق حالة الأمم قوة أو ضعفاً إلى أن استقرت الأمور في البلاد التي فتحها العرب وسادت اللغة العربية وتراجعت تلك اللغات التي كان يتكلم بها سكان تلك البلاد المجاورة، ومهما كانت قوة اللغة الغازية فإنها على الرغم من قهرها للغات المغزوة فإن هذه اللغات تترك فيها آثاراً منها، وهذا ماحدث للعربية، وقد وفدت اللغة العربية إلى البلاد التي تم فتحها في صورتين :

الأولى: تلك اللغة الأدبية النموذجية لغة القرآن الكريم والآثار الأدبية من شعر ونثر التي نمت وازدهرت في بيئة فريش في مكة وماجاورها بعد أن ضمت إليها ما جاء من الألفاظ والأساليب من لهجات القبائل الأخرى .

الثانية : اللغة التى اشتملت على خصائص لهجات القبائل المختلفة كتميم وقيس وربيعة وبهراء وطى وغيرها من القبائل العربية إبان الفتح الإسلامى .

وقد ظلت اللغة النموذجية الأدبية على توحيدها فى البيئات والمناطق الجديدة زمناً طويلاً لم يصبها إلا نزر يسير من التغيير حين استقلت هذه البيئات وتلك المناطق بعضها عن بعض، وظلت عبر العصور المختلفة مفهومة لدى الجميع وتسجل بها النماذج الأدبية الرفيعة من شعر أو نثر لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بل ظلت تلك اللغة فى العصور المتأخرة التى ضعف فيها شأن العرب وسيلة للتفاهم بين الأقطار العربية، فالعراقى يقرأ مؤلفات المصرى، والمصرى يقرأ مؤلفات العراقى، والسورى يفهم ما يكتب المصرى أو العراقى، وهما يفهمان ما يكتب السورى، وكذا ما يكتبه المغربى أو اليمنى أو السعودى أو السودانى وغيرهم، كل يفهم ما يكتبه الآخر، لأن ثقافتهم واحدة ودينهم واحد على الرغم من التمزق الذى أصاب الوطن العربى فى عصور الانحلال والضعف .

أما لغة الكلام العادى وأحاديث الناس فى شئونهم العامة والخاصة فقد اتخذت صوراً مختلفة فى البيئات المختلفة، فالأشخاص فى كل بيئة فى الأسواق والمتاجر والمنازل والحقول والمصانع يتخذون لهجات مختلفة باختلاف البيئات والظروف الاجتماعية، وهى ما تعرف باللهجات العامية أو اللهجات الدارجة التى ترجع فى كثير من مظاهرها إلى لهجات القبائل العربية التى شاركت فى الفتوح الإسلامية والتى خرجت حاملة لواء الإسلام إلى البلاد المجاورة والتى استقر بها المقام فى المناطق

الجديدة، حيث حلت هذه اللهجات محل لغات تلك المناطق بعد صراع طويل معها خرجت منه قوية فى المناطق القريبة من شبه الجزيرة العربية ومشوهة ممسوخة فى المناطق البعيدة عنها .

ومن ثم تعددت لهجات الكلام فى الأقطار العربية نتيجة لنزول القبائل العربية المختلفة بها وصراع لهجاتها مع لهجات الكلام فى هذه المناطق، وما خلفه هذا الصراع من نتائج ، وما حل بها من تطور فى أفواه المتكلمين فى البيئات المختلفة عبر مر العصور، وقد ظلت هذه اللهجات فى صورتها الجديدة تنمو وتتطور دون قيد أو ضابط متخذة طرقاً عدة مما أدى إلى هذه الفروق اللغوية بين لهجات الكلام فى عالمنا العربى .

ولذا ينبغى أن نحرص على حصر هذه الفروق اللهجية بين أبناء الوطن العربى ووضع العلاج لها حتى يمكن الوصول إلى الوحدة اللغوية^(١).

عناصر اختلاف النطق فى البلاد العربية

ووسائل توحيده

تكاد تنحصر عناصر اختلاف النطق بين شعوب البلاد العربية فى زمننا فيما يلى :

(١) ينظر اللهجات العربية د. نجى ص ٣٥ وما بعدها، وفى اللهجات العربية د. أنيس ص ٢٥ وما بعدها، واللهجات العربية. د / إبراهيم أبو سكين ص ٣٩ وما بعدها، ومعالم اللهجات العربية د. عبد الحميد أبو سكين ص ٤٦ وما بعدها.

١ - الاختلاف فى نطق بعض الأصوات الساكنة

على الرغم من أن القدماء من علماء العربية كالخليل^(١) وسيبويه،^(٢) وابن جنى، وغيرهم قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفاً دقيقاً من حيث المخرج والصفة وعلى الرغم من توفر القراءات القرآنية عن طريق التلقى والمشافهة جيلاً بعد جيل فقد تطورت بعض الأصوات الساكنة من حيث المخرج والصفة واختلف هذا التطور بين بيئة وأخرى من البيئات العربية.

فالقاف التى وصفها القدماء بأنها صوت مجهور نسمعها الآن من أفواه المجيدين للقراءات صوتاً مهموساً، وانتقل مخرج القاف فى اللغة الدارجة إلى مخرج الهمزة فى القاهرة وبعض المدن والقرى المصرية، وحول إلى جيم فى بعض المناطق الأخرى، كما انتقلت القاف إلى مخرج الغين عند بعض أهل السودان وبعض القبائل العربية فى جنوب العراق، والكاف التى هى فى النطق الصحيح صوت شديد نسمعها فى بعض اللهجات الحديثة صوتاً أميل إلى الرخاوة (تش) كما هو الحال فى بعض لهجات فلسطين وسوريا، وبعض البلاد المصرية كما فى الزنكلون فى محافظة الشرقية، وقد سمعتها من أحد أبناء الزنكلون وبعض أبناء دول الخليج.

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر الفرهودى وقيل الفراهيدى -

الأزدى إمام النحو واللغة والعروض وأستاذ سيبويه. من مصنفاته: كتاب

العين، توفى سنة ١٧٠هـ وقيل غير ذلك فى وفاته. (الفهرست: ص ٦٣ وبغية

الوعاة : ٥٥٧/١).

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحاة وصاحب أقدم مصنف جمع

مسائل النحو المشهور بالكتاب توفى بشيراز سنة ١٦٦هـ وقيل غير ذلك فى

وفاته. (الفهرست : ص ٧٦ وبغية الوعاة : ٢٢٩/٢).

والضاد التى حدد علماء اللغة القدامى مخرجها بأنه من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس لانكاد نجد لها ذكراً فى الأقواء إلا فى السنة بعض العراقيين وبعض البلاد العربية وتنطق نطقاً يشبه إلى حدٍ ما الظاء .

والطاء ينطق بها فى معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً وقد وصفها القدماء بأنها مجهورة وتنطق مجهورة فى بعض مناطق اليمن نطقاً يشبه نطق الضاد عندنا فيقولون فى «مطر» : «مضر» وقد حكى لنا أستاذنا الدكتور عبد الغفار هلال أنه سمعها من بعض اليمنيين كذلك .

والجيم اختلف نطقها فى اللهجات الحديثة اختلافاً بيناً ، فطوراً تنطق نطقاً أميل إلى الرخاوة كما هو النطق الفصيح المروى فى كتب القدماء ، وطوراً تنطق كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التى كثر تعطيشها كما فى نطق المغاربة وبعض السوريين ، وطوراً تنطق شديدة كما فى لهجة القاهرة وبعض المدن والقرى المصرية بعد أن انتقل مخرجها من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما وصفه القدماء إلى مخرج القاف والكاف وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى .

وأصوات الذال والطاء وينطقها كثير من المتعلمين متزاياً وسيناً وزاياً مفخمة على الترتيب، فيقولون فى ذنب؛ زنب، ويقولون فى حديث؛ حديس، وفى ظريف : زريف، بتفخيم الزاى، كما أن الذال فى اللغة الدارجة تنطق دالاً، فيقال فى كذب : كدب، والشاء تنطق تاء، فيقال فى ثعلب، تلعب وتنطق الظاء ضاداً فى بعض الكلمات وليست تلك الضاد التى كان ينطق بها القدماء، وإنما الضاد التى تنطق بها الآن، فيقال فى الظهر : الظهر. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

٢ - الاختلاف فى نطق أصوات اللين

أصوات اللين هى تلك التى سماها القدماء بالحركات حين تكون قصيرة، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد، «فالقصيرة الفتحة والكسرة والضمة، والطويلة الألف والياء والواو، وفى الاصطلاح العلمى الحديث يجمع بين هذه وتلك فتسمى جميعاً أصوات اللين، لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس إلا فرقاً فى الكمية وكذا الحال بين الكسرة وياء المد وبين الضمة وواو المد، وينظر إليها المحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة، لأنها جميعاً تكون مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال بعضها ببعض .

وقد أهمل أمر أصوات اللين العربية فتركت وشأنها تتخذ فى الأفواه أشكالاً كثيرة حتى كان مانشاهده من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة. وكأن القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربى من هذه الأصوات القصيرة فى غالب الأحيان أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة فأهملوا أمرها على الرغم من أنها لكثرة شيوعها فى الكلام والنطق أوضح وأبرز فى تكوين الفروق بين اللهجات .

فشمة فرق واضح بين من ينطق بالجامعة والشهادة الثانوية وفاطمة بصوت اللين الطويل وهو الألف ومن ينطق بها بصوت لين قصير هو الفتحة كما فى نطق العامة فى اللغة الدارجة .

وثمة فرق بين من ينطق بعبسى وموسى بالفتح ومن ينطق بهما بالإمالة، لذا ينبغى أن نولى أصوات اللين الطويلة والقصيرة عناية شديدة وأن نضع لها مقاييس خاصة نتدرب عليها ونتعودها ولا نعيد عنها مهما صادفنا فى سبيل ذلك من عنت ومشقة .

٣ - الاختلاف فى موضع النبر من الكلمة

هذا هو المظهر الصوتى الثالث الذى يفرق بين لهجات المتكلمين فى الوطن العربى بل يفرق أيضاً بين لهجات الكلام فى الإقليم الواحد، فلو استمعت إلى قاهرى أو أحد أبناء الوجه البحرى يقرأ قول الحق تبارك وتعالى: «وَبَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ»^(١) لرأيتَه يضغط فى «هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» على مقطع معين يخالف ما يصنعه أحد أبناء الوجه القبلى عند نطقه لهذه الآية الكريمة .

وهذا مثل واضح يبين المقصود من اختلاف موضع النبر بين أبناء الدول العربية الشقيقة .

وسائل توحيد النطق

بعد أن وقفنا على الفروق الصوتية التى تجعل نطقنا مختلفاً ومتبايناً نذكر هنا الوسائل التى يمكن بها التغلب على تلك الفروق حتى نصل إلى ما ننشده من وحدة فى النطق وقضاء على مظاهر الاختلاف فيه، وإن كان ذلك ليس أمراً سهلاً أو ميسوراً، بل يتطلب جهداً فائقاً وعناية بالغة كى يتحقق، وأهم هذه الوسائل :

١ - المدرس الكفاء الخاص الذى يصلح للتدريس فى بيئة معينة من البيئات العربية وإعداده إعداداً خاصاً يؤهله للقيام بهذا الدور بأن يدرس دراسة علمية صحيحة العادات الصوتية لتلك البيئة، تلك العادات التى كونتها لهجات الكلام فيها، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ويكون على علم تام بخصائص النطق

النموذجى الذى نهدف إليه، والذى نرجوا أن ينتظم كل البيئات العربية، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجات الكلام، وتلك الصفات الصوتية التى سيتم الاتفاق عليها فى النطق النموذجى للغة الفصحى، ولا بد أن يكون متمتعاً بأذن موسيقية مرهفة وقدرة على تقليد الأصوات، فهذا المدرس وأمثاله عند إرسالهم إلى البيئات العربية المختلفة سيكونون رسل التوحيد اللغوى فى تلك البيئات، لأنهم سيتخيرون للنشء فى هذه البيئات النماذج الأدبية التى يدرب عليها تلاميذهم تدريباً سمعياً دون حاجة إلى اصطلاح فنى أو شرح علمى، والنشء أقدر على التقليد والمحاكاة .

٢ - المذيع الذى يجيد النطق النموذجى الذى يتم المواضعة عليه والملم بقواعد اللغة دوره كبير فى سبيل توحيد النطق بين أبناء الوطن العربى، لأنه يستمع إليه المتعلم وغير المتعلم الكبير والصغير فيحاول تقليده فى النطق الصحيح، ولذا كان دور المذيع أكثر نفعاً من دور المدرس فى نشر النطق النموذجى الصحيح، لأن دور المدرس مقصور على المدرسة فقط، ومن هنا يجب تنشئة هذا المذيع تنشئة خاصة يراعى فيها تدريبه على النطق النموذجى الصحيح لأهمية دوره فى هذا الميدان .

٣ - الممثل الذى يجيد النطق النموذجى الصحيح والملم بقواعد اللغة يمكن أن يقلد فى نطقه فيكون وسيلة من وسائل توحيد النطق ،

خصوصاً وأن كثيراً من الناس فى عصرنا مولعون بمشاهدة
الروايات فى التلفزيون والسينما والمسرح وسماع ما يذاع منها فى
الإذاعة (١).

ولا يظن ظان أن تحقيق هذا الأمر سهل ميسور، وإنما يحتاج إلى
جهد شاق وزمن طويل، بل قد يتعذر تحقيقه على الرغم من اتخاذ
الوسائل السابقة وبذل الجهد الشاق .

(١) فى اللهجات العربية ص ٢٩ وما بعدها، واللهجات العربية د. نجاة ص ٣٨،
وما بعدها، واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص ٣٩ وما بعدها، ومعالم
اللهجات العربية ص ٥٠، وما بعدها .

الفصل الرابع

اللغة العربية قبل الإسلام

نشأة اللغة العربية

نشأت اللغة العربية في أقدم موطن للأمم السامية (الحجاز ونجد وما إليها) وبالرغم من ذلك فإن الآثار التي وصلت إلينا منها تعد من أحدث الآثار السامية، فالذي وصل إلينا من آثار الأكادية أو البابلية - الآشورية يرجع تاريخه إلى القرن العشرين قبل الميلاد، والذي وصل إلينا من آثار العبرية يرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد والذي وصل إلينا من آثار الفينيقية يرجع تاريخه إلى القرن العاشر قبل الميلاد، والذي وصل إلينا من آثار الآرامية يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية البائدة لا يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد، وأقدم ما وصل إلينا من آثار العربية الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، فالزمن بعيد وعميق، ولهذا فإننا لا نعلم شيئاً عن طفولة اللغة العربية وما مرت به من أطوار في عصورها الأولى.

وفي ضوء ما وصل إلينا من آثارها يمكن القول بأنها تقسم إلى

قسمين :

١ - العربية البائدة .

٢ - العربية الباقية .

أولاً: العربية البائدة

وتسمى عربية النقوش، وتطلق على لهجات كانت تتكلم بها

عشائر عربية تقيم في شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين،

ولتطرف هذه اللهجات فى الشمال، وشدة احتكاكها باللغات الآرامية، وبعدها عن المراكز العربية الأصلية فى نجد والحجاز، فقدت كثيراً من مقوماتها وصبغت بالصبغة الآرامية، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام، ولم يصل إلينا منها إلا بعض نقوش عشر عليها أخيراً فى مساحة واسعة تمتد من دمشق إلى منطقة العلا، وكثير من هذه النقوش عشر عليها فى واحى الحجر وتيماء .

وتنقسم النقوش التى وصلت إلينا إلى قسمين : قسم شديد التأثير بالآرامية وقسم أقل تأثراً بها وأدنى إلى العربية الباقية .
وقد دون القسم الأول بخط مشتق من الخط المسند ، ودون القسم الثانى بالخط النبطى أو بخط مشتق منه .

ونقوش القسم الأول ضحلة المادة لاتشتمل إلا على بعض أسماء الأعلام وبعض عبارات قصيرة، وتنقسم نقوش هذا القسم إلى ثلاث مجموعات :

١ - النقوش اللحيانية

وتنسب إلى قبائل لحيان، وقد اختلف العلماء فى أصل هذه القبائل اختلافاً كثيراً ولم يصلوا بعد بصدها إلى رأى يقينى، ولم يثبت بعد بصورة قاطعة تاريخ هذه النقوش، ويظهر أن أقدمها لايتجاوز القرن الثانى أو الأول قبل الميلاد، وأحدثها لايتجاوز القرن السادس بعد الميلاد، وكثير من هذه النقوش يعرض لتعداد ملوك لحيان وألقابهم وما إلى ذلك .

٢ - النقوش الثمودية

تنسب إلى قبائل ثمود التى مر ذكرها، وقد عشر على هذه النقوش فى الأماكن التى يعتقد العرب أنها كانت مساكن ثمود، ويرجع تاريخ معظمها إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد .

٣ - النقوش الصفوية

وتنسب إلى المنطقة التي كشفت على مقربة منها ، وهي منطقة الصفا ، فقد عثر عليها في حرة واقعة بين تلؤل الصفا وجبل الدروز ، ويرجع تاريخها إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد .

ويرجع قسط كبير من الفضل في حل النقوش الصفوية إلى المستشرق الألماني - ليتمان - فقد جمع من هذه المنطقة نحو ألف وأربعمائة نقش ، ثم عكف على دراستها زمناً طويلاً فكشف حروفها الأبجدية ، وحل معظم رموزها .

وينتظم القسم الثاني من نقوش العربية البائدة ثلاثة نقوش :

١ - نقش النمارة *Nemar*

وقد عثر على هذا النقش في منطقة النمارة ، وهي قصر صغير للروم على مقربة من دمشق جنوب منطقة الصفا السابق ذكرها ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ هـ .

٢ - نقش زيد *Zabad*

وقد عثر على هذا النقش في الأطلال المسماة بزيد ، وهي في الجنوب الشرقي من مدينة حلب ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ بعد الميلاد .

٣ - نقش حوران *Hauran*

وقد عثر على هذا النقش بحوران اللجا الواقعة جنوب دمشق في الجزء الشمالي من جبل الدروز ، وهو منقوش على حجر فوق باب الكنيسة التي تشير عبارته إلى مؤسسها وتاريخ إنشائها ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٤٦٨ بعد الميلاد .

واللغة التى دونت بها هذه النقوش تتفق مع العربية الباقية فى كثير من مقوماتها وخصائصها فى الأصوات والقواعد والمفردات فهى تشتمل على معظم الأصوات التى تمتاز بها العربية الباقية عن أخواتها الساميات، أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كأصوات الذال والشاء والغين المعجمة والضاد، وتشتمل على ظاهرة الإعراب التى تعد من أهم خصائص العربية الباقية، كما تسير على الطريقة العربية فى صوغ أفعل التفضيل، وحذف علامة الإعراب أو شئ منها فى حالة إضافة الاسم إلى ماعداه، وأظهر وجوه الاتفاق بينهما نجد فى أصول المفردات وأسماء الأعلام.

وتختلف العربية البائدة عن العربية الباقية فى شدة تأثيرها باللغة الآرامية وفى كثير من مظاهر الصوت والمفردات والدلالة والقواعد، ومن مظاهر اختلافهما فى القواعد أن أداة التعريف فى البائدة حرف الهاء أو (هان) كما هو الشأن فى العبرية، وفى العربية الباقية (أل) (١).

يقول الدكتور إبراهيم أنيس -رحمه الله- ونحن نؤيده فى هذا: «وحين نسلم جديلاً أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية يجب أن نعترف أن نصوصها ضحلة لاتقنع الباحث لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية فى تلك العهود، فهى فى مجموعها لاتكاد تعادل سفرأ صغيراً من أسفار العهد القديم، هذا إلى أن كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص، ولاتكاد تجدى مثل هذه الأعلام فى البحث اللغوى، وفوق هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأمر متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها

(١) د. وافي : فقه اللغة : ص ٦٧ وما بعدها بتصرف .

يتكرر ويجعل نصوصها قليلة القدر لا تكفى في بحث لغوى جدى، ولكنها ربما تفيد بعض الفائدة فى البحث التاريخى»^(١).

ثانياً: العربية الباقية

هى التى تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتى لاتزال تستخدم عندنا وعند الشعوب العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل لغات سامية وحامية، وانشعبت منها اللهجات التى يتكلم بها الآن فى البلاد العربية .

ولا نعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة، إذ لم يعثر العلماء فى مواطنها الأولى بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقى ضوءاً على حالتها الأولى .

وأقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلى وهو آثار أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلى وحكمائه وخطبائه، ولكنها لم تجمع وتدون إلا فى القرون الأولى للعصر الإسلامى، ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير، وهى تمثل هذه اللغة فى عنفوان اكتمالها وعظمتها بعد أن اجتازت مراحل كثيرة فى التطور والارتقاء، وبعد أن تغلبت لهجة من لهجاتها وهى لهجة قريش على أخواتها بعد صراع طويل معها، وصار يؤمها العرب فى شعرهم وخطابهم ونثرهم الأدبى، وإليك بيان ذلك .

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ٣٥ .

صراع لهجات العرب وتغلب لهجة قريش

مر بك - فيما سبق - حديثنا عن القبائل العربية ومنازلها وعلمت أن العرب منذ أقدم العصور قد انقسموا إلى قبائل كثيرة، كما مر بك حديثنا عن البيئة الجغرافية لشبه جزيرة العرب، واستبان لك اختلاف الطبيعة فيها .

ومن المقرر في قوانين اللغات - كما سبق - أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات .

ولم تغلت اللغة العربية - وما كان يمكن أن تلتفت - من هذا القانون العام، فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات .

وقد أتيح لهذه اللهجات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض وتنقلها في طلب الكلاً وتجمعها في الحج والأسواق والحروب الأهلية وغير ذلك، فاشتبكت من جراء ذلك اللهجات العربية بعضها مع بعض في صراع لغوي كتب النصر فيه للهجة قريش، وقد ساعد على تغلب هذه اللهجة عوامل كثيرة، من أهمها مايلي :

١ - العامل الديني

فقد كانت قريش مجاورة لبيت الله الحرام يقيمون حوله، ويقومون بسدنته، وكان لهذا البيت قداسته عند معظم القبائل العربية في

الجاهلية، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم، ويوزروا أصنامهم ويقدموا لها القرابين، ويشهدوا منافع لهم، فكان لقريش بذلك السلطان الدينى على بقية القبائل العربية .

٢ - العامل الاقتصادى

كان لقريش سلطان اقتصادى خطير، فقد كان مقدار كبير من التجارة فى أيدى القرشين الذين كانوا ينتقلون بتجارتهن فى مختلف بقاع شبه الجزيرة العربية من الشام شمالاً إلى أقصى اليمن جنوباً، فكانت لهم رحلات تجارية منظمة فى مختلف فصول السنة من أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم إذ يقول: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ» (١) ويفضل هذا النشاط التجارى أصبح زمام الثروة فى هذه البلاد فى يد قريش .

٣ - العامل السياسى

تحقق لقريش بفضل نفوذها الدينى والاقتصادى وبفضل موقع بلادها وماكانت تتمتاز به من حضارة ونعيم نفوذ سياسى قوى فى سائر بلاد العرب فى العصر الجاهلى، وفى ذلك يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى رده على الأنصار الذين رغبوا فى الخلافة بعد وفاة الرسول

(١) سورة قريش، ١، ٢، ٣، ٤ .

صلى الله عليه وسلم : « لا تدِين العرب إلا لهذا الحى من قریش، فلا تنقَسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله ^(١) ».

وربما يفهم من قول أبى بكر رضى الله عنه أن ذلك إنما كان بسبب الإسلام، لأنه قال قوله هذا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، ويرد هذا أن أبا طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته عند زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها : « الحمد لله لذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعلنا له بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس ^(٢) ».

ومن المسلم به أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها قبل نزول الوحي عليه وقبل أن يكون رسولاً للناس كافة.

٤ - العامل اللغوى

كانت لهجة قریش أوسع اللهجات ثروة، وأغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأقربها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير فى مختلف فنون القول ^(٣).

لذا « قال الفراء ^(٤) : كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام، تحج البيت فى الجاهلية وقریش يسمعون لغات العرب فما استحسَنوه ممن

(١) د. وافى : فقه اللغة : ص ١٠٨، ١٠٩ .

(٢) الوسيط فى الأدب العربى للشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى (مطبعة المعارف ١٩٢٨ ط ٧) ص ٢٩ .

(٣) د. وافى : فقه اللغة : ص ١٠٩، ص ١١٠ .

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، إمام ثقة من أئمة الكوفيين، برع فى النحو واللغة والأدب، من مصنفاته: معانى القرآن . مات سنة ٢٠٧ هـ (الفهرست ص ١٨ ووفيات الأعيان : ٢٢٥/٥) .

لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستبشع الألفاظ» (١).

وقال ثعلب (٢): «ارتفعت قریش فی الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضعج قيس، وعجرفية ضبة، وتلتله بهراء» (٣).

«وقال أبو نصر الفارابي (٤) في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت قریش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الأناظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها، مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس» (٥).

وقال ابن فارس (٦) «أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوين، قال: «حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الخشكسى،

(١) السيوطى: المزهرة تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبي: ٢٢١/١.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه. من مصنفاته: مجالس ثعلب. مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ. (الفهرست ص ١١٠) ووفيات الأعيان: ٨٤/١.

(٣) مجالس ثعلب (تحقيق هارون ط دار المعارف ط ٣): ٨٠/١، ٨١.

(٤) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي التركي الفيلسوف المتوفى سنة ٣٣٩ هـ. من مصنفاته: كتاب الألفاظ والحروف. ترجمته في: وفيات الأعيان: (٣٣٩/٤) والأعلام (٩٦٨/٣) وبيروكلمان: (١٣٧/٤).

(٥) المزهرة للسيوطى: ٢١١/١.

(٦) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى، أحد أئمة اللغة والأدب من مصنفاته: الصحاحي، ومجلد اللغة، ومقاييس اللغة. مات سنة ٣٩٥ هـ (نزهة الألباء: ص ٣٢٠ ووفيات الأعيان ١٠٠/١).

قال: حدثنا إسماعيل بن أبي عبيد الله، قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب السنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل قريشاً قطان حرمة وجيران بيته الحرام، وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم.

ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليها وتسميها: أهل الله، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، لم تشبههم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلة، فضيلة من الله جل ثناؤه - لهم وتشريفاً إذ جعلهم رهط نبيه الأذنين وعترته الصالحين.

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخبروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ماتخبروا من تلك اللغات إلى نحائزهم^(١) وسلاتقهم التي طيعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب...»^(٢).

فجميع الظروف التي تقضيها قوانين التغلب اللغوي كانت مهياة لتغلب لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى فليست ظاهرة تغلبها فذة في التاريخ أو يرجع سببها إلى إرهاب أو إعجاز، بل هي ظاهرة عامة في لغات البشر قديمها وحديثها.

(١) نحائزهم: طبائعهم. ففي اللسان (طبع): «الأزهرى: نحيزة الرجل: طبيعته،

وتجمع على النحائز».

(٢) ابن فارس: الصاحبي (تحقيق السيد صقر ط عيسى الحلبي): ص ٣٣، ٣٤.

ومن المقرر أن الصراع بين لهجتين محليتين ينتهى بتغلب إحداها على الأخرى فى حالتين :

١ - أن يكون لأهل واحدة منهما نفوذ على أهل اللهجة الأخرى، ويكتب النصر فى هذه الحالة للهجة المنطقة ذات النفوذ على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً.

٢ - أن تفوق إحدى المنطقتين الأخرى فى ثقافتها وحضارتها ومقومات لغاتها وآدابها فى هذه الحالة يكتب النصر للهجتها وإن لم يكن لها سلطان على المنطقة الأخرى .

وإذا كانت إحدى هاتين الحالتين تؤدى لامحالة إلى تغلب اللهجة المتوافرة فيها شروطها فمن باب أولى إذا توافر كلاهما فى لهجة محلية كما كان شأن لهجة قريش .

ومن المقرر كذلك فى قوانين علم اللغة أن اللهجة المحلية الظافرة تصبح عاجلاً أو آجلاً لغة الآداب، وهذا ماحدث للهجة قريش، فبعد تغلبها على اللهجات العربية الأخرى أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب، فبها كان ينظم الشعر، وتلقى الخطب، وترسل الحكم والأمثال، وتدون الرسائل، وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بزمان غير قصير^(١) .

ولعل هذا يفسر لنا سر وصول معظم الآثار الأدبية القديمة إلينا فى لغة موحدة لاتشتمل على خصائص اللهجات العربية التى رواها الرواة . فلا غربة إذاً فى أن القرآن الكريم نزل معظمه بلغة قريش وكان مفهوماً لدى جميع القبائل، وكان يؤثر فى العرب جميعاً ببيانـه

وبلاغته، فقد نزل بعد أن تم للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب . ولاغربة كذلك أن جاءت آثار العصر الجاهلي، معلقاتها وشعرها وخطبها وحكمها وأمثالها، مؤلفة بلغة قريش، بل كان يكون غريباً كل الغرابة، ومتعارضاً مع نواميس اللغات الإنسانية لو جاء شئ منها مؤلفاً بغير هذه اللغة، لأن أقدم هذه الآثار لا يتجاوز القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد، أى أنها جميعاً قد ألفت بعد أن تم للهجة قريش التغلب على ماعداها من اللهجات، وأصبحت اللغة الفذة التى يصطنعها العرب فى ميادين الآداب^(١) .

ما استفادته لهجة قريش من صراعتها مع اللهجات العربية

استفادت لهجة قريش من صراعتها مع اللهجات العربية الأخرى أموراً كثيرة، أهمها مايلى :

- ١ - استفادت كثيراً من المفردات والأساليب وبخاصة تلك التى كانت تنقصها، فقويت بذلك دعائمها، واتسع نطاقها، وكما ماكان فيها من نقص، وزادت مرونة وقدرة على التعبير عن مختلف فنون القول، فما أشبه الحالة التى انتهت إليها تلك اللهجة ببخيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى مختلفة الطعم واللون انحدرت إليها من جداول كثيرة^(٢) . وفيما ذكرناه آنفاً من قول الفراء وقول ابن فارس ما يؤيد ذلك^(٣) .

(١) د. وافي فقه: اللغة: ص ١١٢ .

(٢) نفسه ص ١١٤، ١١٥، ود. نجما: اللهجات العربية ص ٦٧ .

(٣) انظر فيما سبق: ص ٩٣، ٩٤، ٩٥ .

٢ - صارت لغة الآداب عند العرب جميعاً، فأما الشعراء فى أشعارهم والخطباء فى خطبهم، ويؤكد ذلك أن العرب على اختلاف قبائلهم ورد إلينا شعرهم ونثرهم بلغة موحدة إلا فى القليل النادر، وهو الذى كان عليه الاعتماد فى تعرف اللهجات الأخرى وخصائصها .

٣ - نزول معظم القرآن الكريم بها، فقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللأمم عامة، فلذلك أنزل الله تعالى معظم كتابه باللغة الراقية السائدة عند العرب وهى لغة قريش، وقد أكسبها كثيراً من الألفاظ الإسلامية، كالصلاة والزكاة والحج والصوم بمعانيها الشرعية .

٤ - تقوية سلطانها ، فقد كان لنزول معظم القرآن الكريم بها وهو دعامة الدين الإسلامى وانضواء معظم القبائل العربية تحت لوائه أثر فى توطيد هذه اللغة، وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة» (١) .

وقد ذكر سيبويه أن «بشراً» فى قول الحق تبارك وتعالى: «ما هذا بشراً» (٢) بالنصب فى لغة أهل الحجاز، إذ يعملون «ما» عمل «ليس»، ثم قال: «وينو قميم يرفعونها إلا من درى كيف هى فى المصحف» (٣) .

(١) د / نجا : اللهجات العربية : ص ٦٧ ، ٦٨ . ود . وافى : فقه اللغة، ص ١١٨ .

(٢) يوسف / ٣١ .

(٣) سيبويه : الكتاب (تحقيق هارون ط الهيئة العامة للكتاب ٧٧) : ١ / ٥٩ .

رأى مردود

ذهب بعض الباحثين إلى أن السبب في تفضيل لهجة قریش على ماعداها من اللهجات العربية وادعاء الغلبة لها يرجع إلى أن النبی صلی الله علیه وسلم من قریش^(١)، وشایع هذا الرأي الدكتور عبده الراجحی فی کتابه «اللهجات العربية فی القراءات القرآنیة» وراح یؤیده ویؤكدہ، فیقول: «والذی لاشک فیہ عندنا أن سببا واحداً حسب هو الذی جعلهم (أی جعل القدماء) یضعون لهجة قریش هذا الموضع، ذلک أن النبی صلی الله علیه وسلم قرشی... وأما هذه العیوب التی تنسب إلى کثیر من القبائل العربیة فمعرفتنا بها معرفة مبنیة على نصوص قليلة مبتورة، ومع أنها قد لا تخلو من بعض الحقیقة فإننا نظن أن بها نصیباً غیر قليل من المبالغة، بل لعلها دلیل على طبیعة المجتمع العربی الذی یدفع کل قبيلة إلى أن تفتخر بلغاتها ویشعراتها، وهی - فی افتخارها هذا - تعزو إلى غیرها من القبائل عیوباً لسانیة قد لا یكون لها نصیب کبیر من الواقع»^(٢).

والحق أن لهجة قریش تفوقت على غیرها من اللهجات فی الجاهلیة وقبل بعثة النبی القرشی صلی الله علیه وسلم، وهی فی تفوقها هذا خضعت لعوامل وأسباب هیأت لها ذلک التفوق، ولو وجدت تلك العوامل والأسباب فی لهجة أخرى من اللهجات العربیة لکان لها ماکان للهجة قریش، فهی لم تشذ فی هذا، ولم یدع لها غیرها ما یؤیده الواقع ونوامیس اللغات .

(١) انظر: ضحی الإسلام لأحمد أمین (نشر مكتبة النهضة المصریة ١٩٧٤ م

ط٨): ٢/٢٤٧ .

(٢) د. عبده الراجحی: القراءات القرآنیة فی اللهجات العربیة : ص ٤٢.

ولم يرو لنا الرواة أية سخرية حدثت فى العصر الجاهلى من لهجة من اللهجات، أو قبيلة رمت غيرها آنذاك بعيوب لسانية .
ويقول: «ومهما يكن من أمر فقد اندفع القدماء يجدون لهجة قرريش، فإذا مالقيهم نص يناقض دعواهم راحوا يتعسفون تأويله بما يسائر ماذهبوا إليه، إذ تذكر كتبهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قرريش) فذهبوا إلى أن (بيد) بمعنى (من أجل) ونقلوا عن أبى عبيدة^(١) قول الشاعر :

عَمْدًا فَعَلْتُ ذَاكَ بَيْدَ أَنْتَى أَخَاكَ إِنْ هَلَكْتُ أَنْ تُرِنَى

والحديث فى رأينا واضح لا يحتاج إلى شئ من هذا التأويل، وإنما أحوجهم إليه تمجيدهم لهجة قرريش، ولعل ما يؤيد رأينا فى وضوح الحديث فى أن معنى (بيد أن) هو (غير أن) ماروى عن عمر أنه قال: يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا»^(٢).

ولسنا فى حاجة إلى التأويل أو عدم التأويل، فالتحقيق أن الحديث المذكور موضوع^(٣)، ولا أصل له، ولم يثبت، فقد جاء فى كتاب نسيم

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى الحافظ اللغوى المتوفى سنة ٢٠٣ هـ. من

مصنفاته: مجاز القرآن، وغريب الحديث . (هدية العارفين: ٢/٤٦٩) .

(٢) د. عبده الراجحي: القراءات القرآنية فى اللهجات العربية: ص ٤٢. ٤٣ .

(٣) قال النووى فى كتابه التقريب (ط صبيح ١٩٦٨ ص ١٥): «الموضوع: هو

المختلق المصنوع وشر الضعيف، ويحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان

إلا مبيتاً» .

الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض^(١) لشهاب الدين الخفاجى^(٢) :
« وأما ما اشتهر من أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قرىش ،
فقالوا : إنه لم يثبت وإن ذكر فى كتب النحو والأصول »^(٣) .

وقال الشوكانى^(٤) فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة :
« حديث أنا أفصح من نطق بالضاد ، لأصل له ، ومعناه صحيح »^(٥) .

ويقول أيضاً : « وتردد الكتب كثيراً أيضاً أن القرآن أنزل بلغة
قرىش ، ومع أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة يناقض هذا
الزعم ، فإن النصوص الكثيرة التى يروونها عن (اللغات) التى نزل
عليها القرآن كافية لتقضى ذلك أيضاً ، إذ روي عن ابن عباس أنه قال :
أنزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وهم

(١) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى المراكشى المتوفى سنة
٥٤٤ هـ . من مصنفاته : الشفا بتعريف حقوق المصطفى . (هدية العارفين :
٨٠٦/١) .

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى المتوفى سنة
١٠٦٩ هـ . من مصنفاته : شرح درة القواص فى أوهام الخواص للحريرى وهو
بتحقيقنا ، ونسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض . (ترجمته فى هدية
العارفين : ١٦٠/١) .

(٣) نسيم الرياض (المطبعة العثمانية ١٣١٧هـ) : ٥٢٩/١ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد اليمنى الشهير بالشوكانى المتوفى سنة
١٢٥٠ هـ . من تصانيفه الكثيرة الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة .
(هدية العارفين : ٣٦٥/٢) .

(٥) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى (تحقيق عبد الرحمن
اليمنى - دار الكتب العلمية بيروت) : ص ٣٢٧ .

الذين يقال لها عليا هوازن، وهم خمس قبائل أو أربع، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف^(١).

أليس عجيباً حقاً أن يجمع هذا النص تلك القبائل دون أن يذكر قريشاً من بين من نزل القرآن على لغتهم؟ أليس الأمر كما ذكرنا من أن لهجة قرشي اكتسبت هذا التمجيد عند القدماء لسبب واحد فقط وهو أن النبي قرشي؟ نحسب الأمر كذلك^(٢).

ونحن نوافقه في أن القرآن الكريم أنزل على لغات أخرى غير لغة قريش^(٣) ولكن معظمه نزل بهذه اللغة، ولذا قال أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه لكتبة المصحف: «وما اختلفتم أنتم وزيد^(٤) فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر ما نزل بلسانهم»^(٥) فاختلفوا في التابوه والتابوت^(٦) قرأه زيد بالهاء والقريشون بالتاء فأثبتته بالتاء^(٧).

(١) انظر الإتيقان (٦٣/١، ٦٥) وانظر القاموس (ع ج ز).

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٤٣، ٤٤.

(٣) انظر ما وقع في القرآن الكريم من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب في البرهان في علوم القرآن للزركشى (تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبي ط ٢٨٣/١ والإتيقان في علوم القرآن للسيوطي (مطبعة مصطفى الحلبي ١٧٥/١).

(٤) هوزيد بن ثابت بن الضحاك، من فقهاء الصحابة وجلة الأنصار، مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ وقيل سنة ٥١. (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص ١٠).

(٥) الزركشى: البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبي ط ٢١٨/١).

(٦) جاء لفظ التابوت في سورة البقرة (آية ٢٤٨) في قوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ» وفي سورة طه (آية: ٣٩) في قوله تعالى: «وَأَنِ افْذِفْ فِيهِ فِي التَّابُوتِ».

(٧) الزركشى: البرهان: ٣٧٦/١.

فحسبه أنه نزل أكثره بلسان قريش ، وهذا كاف في إظهار مكانة هذه اللهجة وتبيان منزلتها .

أما زعم الباحث بأن ماروى عن ابن عباس لم يذكر قريشاً ضمن القبائل التي أنزل القرآن على لغاتها وتعجبه من ذلك فيرده أن ابن عباس رضى الله عنه نص فيه على أن القرآن أنزل على سبع لغات ذكر منها خمساً فقط، فهل معنى هذا انتفاء إنزاله بلغة قريش أيضاً ؟

إن لغة قريش ليست في حاجة للتنويه بها في هذا الشأن وإنما الذى يحتاج إلى التنويه به سواها من لغات العرب التى نزل عليها القرآن الكريم، فإنزال القرآن الكريم على لغة قريش أمر لا يستطيع الباحث نفسه أن ينكره، وإذا كان أكثر ما نزل منه بلسان قريش كما يقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلا عجب أن يقال نزل بلغتهم بناء على هذا ، وليس السبب فى ذلك التمجيد للغة قريش لأن النبى صلى الله عليه وسلم قرشى كما يزعم .

وذكر الباحث أن المحدثين ساروا على نهج القدماء فى تمجيد لغة قريش وعدد منهم الرافعى والدكتور طه حسين الذى يقول عنه: «عجيب حقاً أن الدكتور طه حسين الذى تناول الأدب الجاهلى بالشك وأخذ يهدمه هدماً لم يختلف رأيه فى هذا الموضوع عن رأى القدماء» (١).

ولست أدرى سبباً يدعو لهذا العجب، فلو رأى الدكتور طه الذى أولع بالهجوم على الأدب الجاهلى ما يدعو إلى مثل هذا الزعم ماتقاعس عنه أو أبطأ دونه .

(١) د. عبده الراجحي : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص: ٤٥.

كما ذكر من المحدثين الدكتور حسن عون والدكتور شوقي ضيف والدكتور إبراهيم أنيس، وقال: «وهذه الأسباب كلها فى رأينا لاتقوى دليلاً على تمكين لهجة قريش من السيطرة والسيادة»^(١).

ويعنى بها الأسباب السياسية والدينية والاقتصادية التى أدت إلى تغلب لهجة قريش وسيادتها على غيرها من اللهجات، وله أن يرى مايشاء.

وماذكره من أن ثمة أسواقاً فى الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية غير عكاظ كان يلتقى الناس فيها للتجارة، وأن العرب كان يلتقون فى غير مواسم الحج بعيداً عن مكة، وماذكره من حروبهم وأحلافهم وهجراتهم، وأن أصحاب المملقات ليس منهم قرشي، وأن الفصحى خلت من التسهيل وأخذت بالهمز لايكفى للزعم بأن لهجة قريش لم تسد ولم تفق غيرها من اللهجات ولم تصطف لنفسها وتختار من اللهجات الأخرى ماينقصها ومالاينقصها.

نعم، لا يوجد بين أيدينا مايعيننا على التعرف على ماهو قرشى أصلاً وماهو ليس بقرشى فى الأصل، ولكن مقارنة اللهجة القرشية بغيرها من اللهجات وماانتهى إلينا من شعر ونثر أغلبه خال من الصفات الخاصة باللهجات القبائل العربية غير القرشية ووضوح خصائص اللهجة القرشية فيه إلا فى القليل منه يكفى لدحض هذا الزعم، وهل يمكن فى كل الأحوال أن يغير الشعر ويبدل حتى يطابق لهجة قريش؟ لو كان ذلك يتيسر فى بعض الأحيان فإنه يعسر فى أغلب الأحيان لأن الوزن الشعرى يأباه.

(١) نفسه: ص ٤٧.

فالقديما ومن تبعهم من المحدثين كانوا على طريق مستقيمة حين قرروا أن لهجة قريش كان لها التفوق والسيادة فى الجاهلية، وليس ذلك ناشئاً عندهم عن تمجيد لتلك اللهجة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قرشى كما يدعى .

نظرة القديما للهجات

اختلفت نظرة القديما إلى اللهجات العربية باختلاف العصور والعوامل السياسية والاجتماعية فى كل منها .

فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفات الكلامية فى حديثها العادى وفى لهجات التخاطب ، ولكن الخاصة من الناس فى تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التى نشأت فى مكة فى شئونهم الجدية يخطبون بها وينظمون الشعر، وهذه حال كانت مألوفة بين القبائل، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها .

ولما جاء الإسلام برسائله السمحة الغراء للعامة والخاصة من الناس وأراد أن يتألف قلوب العرب جميعاً عامتهم وخاصتهم أباح أن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات اللهجية التى لم يكن فى مقدور العامة غيرها، وهذا هو معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

فالقرآن الكريم وإن نزل باللغة الأدبية الموحدة أبيح فى قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة تيسيراً على عامة العرب وتأليفاً لقلوبهم . ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة، فكان لابد لضمان وحدتها والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات

العربية من العناية ماقد يزيد من عصبية القائل وباعد بينها ، فأهمل أمرها ، ولم يرو عنها إلا القليل فى ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها ، بل ماروى لنا منها جاء مبتوراً ناقصاً فى معظم الأحيان .

ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى فينسبون الفصاحة لهذه ، وينكرونها على تلك ، فقد رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التى كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية ،^(١) فإنه كما يقول أبو نصر الفارابى « لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إباد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرعون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم »^(٢) .

ولم يكد ينقضى القرن الرابع الهجرى حتى ظهر من علماء اللغة من لم يفرق بين قبيلة وأخرى ، بل عدهم جميعاً سواء فى جواز الأخذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم ، وخير مثال لذلك ابن جنى ، فقد ذكر فى كتابه الخصائص باباً عنوانه بقوله : « باب اختلاف اللغات وكلها حجة »^(٣) ، قال

(١) د . أنيس : فى اللهجات العربية : ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) الاقتراح للسيوطى (نشر دار المعارف بحلب) ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣) د . أنيس : فى اللهجات العربية : ص ٤٨ .

فيه: «اعلم أن سعة القياس تبيع لهم ذلك، ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القولين ضرباً من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتهما، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقريبها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا، أو لا ترى إلى قول النبى صلى عليه وسلم: (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف) .

هذا حكم اللغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين .

فأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً، ألا تراك لا تقول: مررت بك ولا المال لك قياساً على قول قضاة: المال له ومررت به، ولا تقول أكرمتكش ولا أكرمتكس قياساً على لغة من قال: مررت بكش وعجبت منكس» .

ثم قال بعد أن ذكر عدة لهجات أخرى أقل شيوعاً: «فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين، فأما إن احتاج إلى ذلك فى شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعى عليه، وكذلك إن قال: يقول علي قياس من لغته كذا وكذا، ويقول على مذهب من قال كذا وكذا .

وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب

مصيب غير مخطئ وإن كان غير ماجاء به خيراً منه (١).

الفصل الخامس

مقياس الفصاحة لدى العلماء

الذى استقر عليه الرأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها فى إرساء قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم فى ذلك ^(١).

يقول السيوطى ^(٢) : « أما القرآن فكل ماورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً ، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه ، وإن لم يجز القياس عليه ، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه ، نحو (استحوذ) ^(٣) (٤) ».

أما المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرئ القيس وأمثالهم ، كما يحتج بشعر

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ٤٩ .

(٢) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المصرى المتوفى سنة ٩١١ هـ . من مصنفاته الكثيرة : المزهرة ، والاقتراح : (هدية العارفين : ٥٣٤/١) .

(٣) جاء فى سورة المجادلة (آية : ١٩) «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» .

(٤) الاقتراح للسيوطى : ص ١٤ ، ١٥ .

المخضرمين وهم الذين عاشوا فى الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً فى
المرحلتين كحسان بن ثابت وليبد وأمثالهما .

وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى
الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل، وإن كان بعض المتشددىن
من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء^(١) يرفض الاستشهاد بالشعر
الإسلامى، فيروى عنه أنه كان يقول: لقد حسن هذا المولد - يريد شعر
جرير والفرزدق - حتى كدت أمر صبياننا بروايته .

ويقول عنه تلميذه الأصمعى: لقد لازمته عشر حجج فما سمعته
يحتج ببيت إسلامى قط^(٢) .

أما شعر المولدين فجمهور العلماء رفض الاحتجاج به، وقد احتج
بعضهم بشعر بعض المولدين، وذلك قائم فيما يبدو على مبدأ الانتقاء
والاختيار لمن يحتج بشعره منهم، كأن تتوافر فى الشاعر المولد مؤهلات
تجعله أهلاً للاحتجاج بشعره عند من يحتج به، كأبى تمام عند
الزمخشرى، وأبى فراس وابن دريد والمتنبى عند شهاب الدين الخفاجى،
فقد استشهد الزمخشرى ببيت لأبى تمام فى كشافه فى تفسير أوائل
سورة البقرة، فقال فى تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ
قَامُوا)^(٣): «وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى، اختلف فى اسمه فقيل: اسمه زيان،
وقيل اسمه كنيته، كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة،
مات سنة ١٥٤ هـ. (نزهة الألباب ص ٢٤) .

(٢) د. إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية: ص ٤٩ .

(٣) البقرة / ٢٠ .

متعدياً منقولاً من ظِلَمَ الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب^(١)
(أظلم) على مالم يسم فاعله، وجاء فى شعر حبيب بن أوس: (٢).

هُمَا أَظْلَمًا حَالِيَّ تُمَتَّ أَجْلِيَا ظَلَامِيَهُمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَةٍ أَشِيبَ

وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء
العربية، فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء:
الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لو ثوقهم بروايته
وإتقانه» (٣).

«واعترض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق،
واعتبار القول والاستشهاد به مبنى على معرفة الأوضاع اللغوية
والإحاطة بقوانينها، ومن البين أن إتقان الرواية لا يستلزم إتقان الدراية،
فلا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه من الحماسة من أشعار من
يستشهد بأقوالهم أن يكون جميع ما فى شعره مسموعاً منهم، أو
مستنبطاً من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم .

وأجيب بأنه صرح أولاً بكونه من علماء العربية، ثم أشار إلى أنه
ثقة باقتناع العلماء فى الاستدلال بالأبيات بثبوتها فى الحماسة، فإنه

(١) هو يزيد بن قطيب السكوتى الشامى، ثقة، له اختيار فى القراءة
ينسب إليه. (غاية النهاية: ٣٨٢/٢) .

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور، أحد أمراء
البيان. مات سنة ٢٣١ هـ. (معجم المؤلفين ١٨٣/٣).

(٣) الكشف للزمخشري (دار الفكر للطباعة والنشر ط ١٣٩٧ هـ-
١٩٧٧م) : ٢٢٠/١ ، ٢٢١ .

يدل علي وثوقهم بروايته، كأنه أراد دفع أن يقال كونه من علماء العربية ليس كافياً في جعل مايقوله بمنزلة مايرويه، بل لابد من اجتماع العلم مع العدالة»^(١).

وقد وثق شهاب الدين الخفاجي أبا فراس الحمداني^(٢)، فقال: «تعالى في الأمر بفتح اللام، قال ابن هشام: وكسرهما لحن كما تستعمله العوام، ولحن أبا فراس في قوله في شعره المشهور :

تعالى أقاسمك الهموم تعالى

ولذا صحت التورية في قول الآخر :

أيها المعرض عني حسبك الله تعالى

وأصلها الأمر لمن كان في سفل أن يأتي محلاً مرتفعاً، ثم استعملت لمطلق المجيء، ومازعموه من اللحن ليس كما قالوا، فإنه سمع وقرئ به، وأبو فراس ثقة ممن يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه»^(٣).

وقال الزمخشري في كشافه في تفسير قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا»^(٤): «قرأ الحسن تعالىوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً، كما قالوا: ما باليت من بالة، وأصلها بالية كعافية، وكما قال الكسائي في آية أن أصلها آية فاعلة، فحذفت اللام،

(١) حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف المنشورة معه (٢٢١/١).

(٢) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أمير شاعر فارس. مات سنة ٣٥٧ هـ (معجم المؤلفين: ١٧٥/٣).

(٣) شفاء الغليل: ص ٨٤، ٨٥.

(٤) النساء / ٦١.

فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا ،
نحو: تقدموا ، ومنه قول أهل مكة: تعال بكسر اللام للمرأة ، وفي شعر
الحمداني :

تعالى أقاسمك الهموم تعالِ

والوجه فتح اللام»^(١).

وقد وثق شهاب الدين الخفاجي ابن دريد أيضاً ، فقال: «وابن دريد
- رحمه الله - إمام ثقة يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ، فلا يتوهم أنه
ليس ممن يحتج بكلامه»^(٢). وذلك فى تعليقه على ما ذكره ابن بَرِّي من
صحة قول الخاصة : (انساغ لى الشراب) فى رده على الحريرى فى درة
الفواص فى حواشيه عليها واستشهاده بقول ابن دريد :

ومنه ماتقنعم العينُ فلإن دُقَّتْ جناه انساغ عَذْباً فى اللها

ووثق الخفاجى أيضاً المتنبي^(٣) ، وقال: «المتنبى أيضاً قد يجعل
مايقوله بمنزلة مايرويه»^(٤).

وقد رفض بعض الباحثين المحدثين هذا الاتجاه ، وقال: «كيف
يحتج بأقوال هؤلاء المولدين وقد وقعوا فى أغلاط كثيرة لا يستطيع أحد
تخريجها على وجه مقبول؟ فهذا أبو تمام يقول :

(١) الكشاف : ٥٣٦/١ .

(٢) شرح درة الفواص بتحقيقنا: ص ٣٧٦ .

(٣) هو أحمد بن الحسين الكندى ولد بالكوفة ، وتوفي سنة ٣٥٤ هـ .

(معجم المؤلفين: ٢٠١/١) .

(٤) شرح درة الفواص بتحقيقنا: ص ٥٤٧ .

لَعَذْلَتُهُ فِي دَمَتَيْنِ تَقَادِمَا مَحْوَتَيْنِ لَزِيْزٍ وَسَعَادِ

والصواب : تقادمتا .

وهذا المتنبي يقول:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِدَوْلَةٍ

فَفِي النَّاسِ هِرَقَاتُ لَهَا وَطَهْرٌ

ومن هنا يتبين لك أن استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلام إلى استعمال أحد أهل العلم غير سديد... فالحق أن لاجحة فيما يلفظ به رواة الشعر أو علماء العربية إلا أن تذكره على وجه الاستثناس وأنت مالى يدك بما هو حجة، أو منتظر لأن تظفر بالحجة .

ولابن السيد البطلاني وجهه أخرى في صحة الاحتجاج بشعر أبي الطيب المتنبي ، هي أن البيت الذى سكت عنه علماء اللغة الذين تناولوا شعره ولم ينكروه عليه يلحق بما يصلح للاستشهاد به من كلام العرب، ذلك أنه أورد في الاستشهاد على صحة إضافة «آل» إلى الضمير قول المتنبي.

والله يُسعد كل يوم جدّه ويزيد من أعدائه فى آلّه

ثم قال: وأبو الطيب وإن كان ممن لا يحتج به فى اللغة، فإن فى بيته هذا حجة من جهة أخرى، وذلك أن الناس عنوا بانتقاد شعره، وكان فى عصره جماعة من اللغويين والنحويين كابن خالويه وابن جنى وغيرهما، ومارأيت منهم أحداً أنكر عليه إضافة آل إلى المضر، وكذلك

جميع من تكلم فى شعره من الكتاب والشعراء، كالواحدى، وابن عباد،
والحاتمى، وابن وكيع، ولأعلم لأحد منهم اعتراضاً على هذا البيت .
وهذا الذى يقوله البطلينوسى فى شعر المتنبى الذى لم ينكره
أولئك العلماء والكتاب لا يرفعه من مرتبة الاستثناس به إلى مرتبة أن
يكون حجة عند علماء العربية الذين يجتهدون فى تقرير أحكام
اللسان» (١).

وهذا حق .

أما عن موقف العلماء من الاستشهاد بنص الحديث الشريف فى
مسائل اللغة فقد اختلفت الآراء بصدده، وانقسم العلماء إلى فريقين:

١ - فريق يمنع الاستشهاد به، وحجته أن رواية الحديث تجوز بالمعنى،
وأن كثيراً من رواة الأحاديث كانوا من المولدين أى الذين عاشوا
بعد عصور الاحتجاج، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن .

٢ - فريق لا يمنع الاستشهاد به، وهو قليل، وحجته أنه إذا جاز اللحن
فى رواية الحديث فاللحن فى رواية الأشعار أولى، لأن الوازع
الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها
من أى انحراف .

وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث
ولم يرو عنهم ما يفيد أنهم منعه، بل وجد فى بعض كتبهم استشهاد به
وإن كان قليلاً كما فى الكتاب لسيبويه .

(١) القياس فى اللغة العربية لمحمد الخضر حسين (المطبعة السلفية
بالقاهرة ١٣٥٣هـ): ص ٣٦ وما بعدها .

أما المتأخرون من العلماء فقد اشتد الخلاف بينهم وأصبح واضحاً كل الوضوح فى القرنين السابع والثامن من الهجرة ومن زعماء المنع للاستشهاد بالحديث ابن الضائع الأشبيلي^(١) وأبو حيان^(٢) ومن زعماء المجوزين له ابن مالك^(٣) وابن هشام^(٤).

ويرى بعض الدارسين من المحدثين أننا يجب أن نقف موقفاً معتدلاً فنقسم الأحاديث قسمين: قسم يستشهد بنصوصه، وقسم لا يحتج به فى مسائل اللغة، فالذى يستشهد به ما يلى :

١ - ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته صلى الله عليه وسلم، مثل : مات حتف أنفه، أى مات على فراشه وحمى الوطيس، أى اشتد الضراب فى الحرب .

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن على الأشبيلي المعروف بابن الضائع النحوى المتوفى سنة ٦٨٠ هـ. من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه (هدية العارفين: ٧١٣/١) .

(٢) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن على الأندلسى النحوى المتوفى بمصر سنة ٧٤٥ هـ. من مصنفاته: التذييل والتكميل فى شرح التسهيل. (هدية العارفين: ١٥٢/٢) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائى الأندلسى المعروف بابن مالك النحوى المتوفى بدمشق سنة ٦٧٢ هـ. من مصنفاته: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح للبخارى. (هدية العارفين: ١٣٠/٢) .

(٤) هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصارى المصرى النحوى الشهير بابن هشام المتوفى سنة ٧٦٣ هـ. من مصنفاته شذور الذهب فى النحو. ومغنى اللبيب. (هدية العارفين) ١/٤٦٥).

- ٢ - ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .
- ٣ - أحاديث من مصادر متعددة ويلفظ واحد .
- ٤ - أحاديث يرويها أولئك الذين روى في بيئة عربية كأنس بن مالك^(١) والشافعي^(٢) رضى الله عنهما .
- أما الأحاديث التي لا يحتج بها في مسائل اللغة فتلك التي دونت متأخرا أو التي غمرت في صحتها أو الأحاديث التي شذت روايتها .
- وماسم من القبائل من كلام منشور لم يأخذ العلماء به كله، وإنما فرقوا بين القبائل، فأخذوا عن بعضها ورفضوا الأخذ عن بعضها الآخر، فقد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين :
- الأولى: مقدار قرب مساكنها من مكة وماحولها .
- الثانية : مقدار توغلها في البداوة .
- فكانوا يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن القبائل التي كانت مساكنها في أطراف الجزيرة وعلى حدودها^(٣) .

(١) هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي، خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، انتقل من المدينة إلى البصرة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وتوفي سنة ٩١ هـ .

(٢) هو الإمام الشافعي محمد بن إدريس القرشي، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونزل بغداد ومصر، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ . (طبقات الحفاظ : ص ١٥٣ وطبقات الشافعية لابن هداية الله: ص ١١) .

(٣) د. إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية: ص ٤٩ وما بعدها .

يقول أبو نصر الفارابي - وقد مر بك بعض قوله - : « كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما فى النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعندهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب ، هم قيس وقيم وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لآمن لحم ولا من جذام ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ، ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إباد ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرعون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين (لليونانية) ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف ، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم ، والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب وصيرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب » (١) .

(١) الاقتراح للسيوطى: ١٩ ، ٢٠ ، والمزهر له ٢١١/١ ، ٢١٢ .

وهذا الذى ذكره الفارابى يبين لنا مدى حرص القدماء من علماء اللغة وغيرهم على نقاوة اللغة وسلامتها، فأخذوا عن تلك القبائل التى اطمأنوا إلى فصاحتها، ورفضوا الأخذ عن تلك القبائل التى لم يطمثوا إلى سلامة لغتها، لمجاورتها أمماً أجنبية تتكلم بلسان غير عربى، وإن كانت « تلك التحديدات القبلية والقبلية المكانية تمثل جانباً من الضوابط الجغرافية التى تحكم فى جمع اللغة وأدت إلى إغفال الكثير من مفرداتها واستعمالاتها، إذ أن ترك الأخذ عن قبيلة بأسرها أو عن أهل منطقة بأسرها فيه ما لا يخفى من الجرافية وإهدار ما يمكن أن يكون هؤلاء استعملوه من التراكيب والصيغ والأساليب الصحيحة الفصيحة.. ولو استبدل بهذا (الحظر العام) حظر انتقائى يستبعد من الأداء اللغوى لتلك القبائل والمناطق ما يشذ عن طبيعة الصيغ والاستعمالات والأساليب العربية فحسب لاستدرك الكثير من فوات المعاجم مما كان يدعم القياسية والاطراد فى القواعد اللغوية بمختلف مستوياتها بالإضافة إلى قيمته فى الثروة اللغوية^(١).

وما اتخذوه من وسائل الحيلة حيال القبائل والأمكنة اتخذوه حيال الأزمنة والعصور أيضاً فلم يأخذوا إلا عن العصور التى كان فيها اللسان العربى سليماً لم يصبه بعد الفساد والانحراف عن أوضاع اللغة الفصحى، ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية والإسلام إلى نهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة إلى فصحاء الحضر وإلى أواسط القرن الرابع بالنسبة إلى فصحاء البادية، وسموا هذه العصور عصور الاحتجاج،

(١) د. محمد حسن جبل: الاحتجاج بالشعر فى اللغة (دار الفكر العربى

وأهملوا ماعداها مبالغة في الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين^(١) .

وإيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التي حددوها يعنى الحكم بإيقاف نمو اللغة في متنها ودلالاتها عند الحد الذي وصلت إليه في تلك الحقبة، وذلك شئ يضاد طبيعة اللغة التي تجارى تجدد الحياة مجارة حتمية، لذا فقد وقعت من الأئمة اللغويين في احتجاجاتهم اللغوية تجاوزات متنوعة لنطق الاحتجاج وإن كان قد روعى معيار الاحتجاج بصورة كبيرة، فقد وقع الاحتجاج بشعراء من غير القبائل والأماكن والحدود الزمنية التي حددوها ، ففي معجم لسان العرب الجامع لثلاثة من أصل معاجمنا العربية التهذيب والصحاح والمحكم - بالإضافة إلى النهاية في غريب الحديث وتحقيقات ابن برى^(٢) - احتجاجات لغوية بأشعار شعراء كثيرين من تلك القبائل التي قال أبو نصر الفارابي إنها لم يؤخذ عنها، ففيه شعر لشعراء من قضاة ومن غسان ومن إباد ومن تغلب ومن حنيفة ومن ثقيف .

وبالنسبة للحواضر التي ذكر الفارابي أيضاً أنه لم يؤخذ عن أحد منها قط وجد في اللسان شعر لشعراء من المدينة ومكة والطائف والبحرين والحيرة والكوفة واليمن^(٣) .

(١) د. وافي : فقه اللغة : ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسى ثم المصرى اللغوى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ. من مصنفاته: التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح. (هدية العارفين: ١/ ٤٥٧) .

(٣) انظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة للدكتور محمد حسن جيل: ص ١٠٤ وما بعدها، وثمة تفصيل لما ذكرناه مجملاً منه .

ولذا دعا بعض الباحثين المحدثين إلى إعادة النظر فى معيار الاحتجاج وإن كنا لانوافقه فى ذلك، إذ يجب علينا ألا نكون أقل غيرة على اللغة ونقاوتها وسلامتها من القدماء ، وإذا كان التحديد المكانى والزمانى فيه تشدد وتعسف فذلك كان فى صميمه حماية للغة، وكان سباجاً متيناً حافظ عليها من فساد الألسنة وانحرافها عن سنن العرب الفصحاء، فقد سلك القدماء سبل الحيطه والحذر، وربما كان ثمة خارج الحدود المكانية والزمانية من يؤخذ بقوله لفصاحته ونقاء لغته إلا أنه لم يؤخذ عنه مبالغة فى الحيطه والحذر، وإذا كان لاسبيل لنا الآن إلى ماضع من مفردات وأساليب نتيجة التحديد المكانى المتشدد ولاسبيل إلى تحقيق ماكننا نرجوه من القدماء من تطبيق مبدأ الانتقاء بدلاً من (الحظر العام) فليس أماننا الآن إلا الأخذ بالحيطه كما أخذ القدماء بها، ولانتطلع إلى إعادة النظر فى معيار الاحتجاج عندهم، لأننا وقد بعد الزمن بنا عن زمنهم لأنامن العشار، ولانضمن أمن الطريق ، صحيح أنه قد وقع تجاوز من بعض الأئمة فى الاحتجاج بنطق من لم يشمل التحديد المكانى والزمانى للاحتجاج إلا أننا يجب أن نقف عنده بعينه ولانعم المعيار ونطلقه .

ولانستبعد أن يكون أولئك الذين احتج بعض أئمة اللغة بشعرهم من كانوا خارج النطاق المكانى والزمانى لنطق الاحتجاج قد خضعوا لمعيار الانتقاء عند هؤلاء الأئمة الذى كنا نرنوا إليه ونود الأخذ به .

الفصل السادس

مظاهر اختلاف اللهجات

مظاهر اختلاف اللهجات كثيرة ومتنوعة، وسنبينها لك فيما يلي:

الإبدال

الإبدال كما فى لسان العرب: «جعل شئ مكان شئ آخر»^(١) وهو عند الصرفيين : جعل حرف مكان حرف غيره»^(٢).
وعند اللغويين : جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى، فهو عند اللغويين أوسع وأشمل، لأن نظرتهم للإبدال لم تقف عند التغيير الذى يلحق حروف الكلمة فقط وإنما يلحظون التغييرات التى تلحق الحركات أيضاً^(٣).

اقسام الإبدال

ينقسم الإبدال إلى قسمين :

- ١ - إبدال مطرد عند جميع العرب، وهو الإبدال القياسى وهذا إذا استوفى شروطه وجب تنفيذه ، كإبدال الهمزة الساكنة الثانية فى الكلمة من جنس حركة ما قبلها، نحو : أمنت أو من إيماناً، والأصل: أأمنت أو من إيماناً.

(١) لسان العرب (مادة : بدل).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضى بتحقيق محمد نور الحسن وآخرين (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٥) : ١٩٧/٣.

(٣) دنجا : اللهجات العربية : ص ٧١.

والحروف التى يبدل بعضها من بعض جمعها ابن مالك بقوله:
(هدأت موطيا) (١).

وهذا النوع من الإبدال لا مناص للمتكلم باللغة العربية من استعماله فى المواضع التى عينت له فى علم الصرف.
ولا يعنينا هنا هذا الإبدال ، إذ لم تنطق به العرب على أوضاع مختلفة فيكون فيه لهجات مختلفة.

(١) الأحرف التى تبدل من غيرها إبدالا شائعا قياسيا لغير إدغام تسعة ، وهى
التي جمعها ابن مالك فى قوله المذكور (هدأت موطيا) ومعنى هدأت : سكنت
، وموطيا من أوطأته : جعلته وطيئا .

فالواو تقلب همزة فى مثل قائل ، والياء تقلب همزة فى مثل بائع ، لوقوعهما
عينا لاسم فاعل .

وتبدل الواو والياء من الهمزة كما فى خطايا وقضايا .

وتبدل الهمزة ألفا مثل : آمت ، وتبدل الياء من الألف كما فى مصابيح ، ومن
الواو كما فى رضى .

وتبدل الواو من أختيها الألف والياء كما فى بويح وموقن وموسر .

وتبدل الألف من أختيها الواو والياء كما فى قال وباع .

وتبدل التاء من الواو والياء إذا كانتا فاء للاقتعال ، نحو : اتصل واتسر .

وتبدل الطاء من التاء إذا وقعت التاء فى افتعل بعد صاد أو ضاد أو طاء أو
ظاء .

وتبدل الدال من تاء الاقتعال الذى فاؤه دال أو دال أو زاي ، كما فى ادا ن وادكر
وازدجر .

وتبدل الميم من الواو فى فم ، ومن النون فى انبعث .

وتبدل الهاء فى الوقف من التاء ، نحو : نعمة ورحمة .

٢- إبدال غير مطرد، وهو الإبدال السماعي، وهو الذي لا يخضع لشروط خاصة، وهذا الإبدال لا يكون عند العرب جميعاً، وإنما يختلف باختلاف القبائل، فنجد مثلاً قبيلة تقول: مدح، وأخرى تقول مده، وهكذا، ولاضابط للحروف التي يبدل بعضها من بعض في هذا النوع. وهذا الإبدال هو الذي يعيننا هنا، لأنه هو الذي يخص قوماً دون قوم^(١).

وقد اختلف القدماء من العلماء في منشئه، والراجح أنه نشأ من اختلاف اللهجات.

يقول أبو الطيب اللغوي كما جاء في المزهري: «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقه، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد.. والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهمازة وطوراً غير مهمازة، ولا بالصاد مرة وبالسین أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً، والهمزة المصدرة عيناً كقولهم في نحو أن: عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، وإنما يقول هذا قوم وذاك آخرون»^(٢).

«وقال ابن خالويه^(٣) في شرح الفصيح: أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم^(٤) عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠هـ ط ٢): ص ١١، ١٢، واللهجات العربية: دنجبا: ص ٧٢.

(٢) المزهري: ٤٦٠/١.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي اللغوي المتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ. من مصنفاته كتاب الحجة في قراءات الأئمة السبعة. (هدية العارفين: ٣٠٦/١).

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني البصري اللغوي المتوفى =

بالسين، وقال الآخر بالصاد ، فتحا كما إلى أعرابى ثالث، فقال : أما أنا فأقول : الزقر ، بالزاي، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات»^(١).

وقال البَطْلَيْتُوسِي^(٢) فى شرح الفصيح: ليست الألف فى الأرقان^(٣) ونحوه مبدلة من الياء، ولكنهما لغتان، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات مارواه اللحيانى،^(٤) قال : قلت لأعرابى : أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه؟ فقال : لا أقول مثل حلكه ...

= سنة ٢٥٠ هـ . من مصنفاته: إعراب القرآن . (هدية العارفين : ٤١١/١) .
(١) الزهر : ٤٧٥/١ . وجاء فى كتاب ألف باء ليوسف بن محمد البلوى (ط. عالم الكتب - بيروت) ما يفيد نسبة كل لغة من هذه اللغات الثلاثة إلى الناطقين بها من القبائل العربية ، ففيه (٣٦٤/٢) : « جاء فى الصقر من قول الأصمى اختلف رجل من مضر ورجل من ربيعة، فقال المضرى : السقر ، وقال الربعى : الصقر ، فأقبل رجل من قضاة فأخبراه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر ».

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد ، النحوى اللغوى المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ . من مصنفاته: الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب. (هدية العارفين : ٤٥٤/١) .

(٣) الأرقان لغة فى اليرقان وهو آفة تصيب الزرع وداء يصيب الناس . (اللسان : أرق) .

(٤) هو أبو الحسن على بن حازم اللحيانى ، وكان من كبار أئمة اللغة ، من مصنفاته : كتاب النوادر ، ولم تذكر سنة وفاته . (نزهة الألباء : ص ١٧٦ ، والفهرست ص ٧١) .

وقال البطليوسى فى شرح الفصيح (أيضا) : قال أبو بكر بن دريد: قال أبو حاتم : قلت لأُم الهيثم: كيف تقولين أشد سوادا من ماذا؟ قالت : من حَلَكِ الغراب .

قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ؟

فقلت : لا أقولها أبدا (١).

ومن هذا يظهر لنا أن الإبدال منشؤه اختلاف اللهجات لتعدد القبائل واختلاف البيئات.

وقد ورد ما يفيد وقوع الإبدال فى قبيلة واحدة، فقد قال ابن السكيت: « حضرني أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما: إِنْفَحَة، وقال الآخر: مِئْفَحَة (٢)، ثم اختلفا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بنى كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان (٣).

ولا يستبعد أن تكون هذه القبيلة استعملت إحدى الكلمتين ثم استفادت الكلمة الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها العهد وكثر استعمالها ، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها باللغة الأولى للقبيلة (٤).

(١) المزهري: ٤٧٤/١، ٤٧٥.

(٢) الإنفحة والمنفحة: شئ يستخرج من بطن الجذئ الرضيع أصفر فيعصر فى صوفة فيغلظ كالجبين ، فإذا أَكَل الجدى فهو كرش. (القاموس : نفح).

(٣) إصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (ط دار المعارف بمصر ط ٣) . ص ١٧٥، ١٧٦.

(٤) انظر: الخصائص : ٣٧٢/١.

هذا وينقسم النوع الثانى من الإبدال وهو الإبدال غير المطرد إلى قسمين :

- ١- إبدال فى الحروف.
 - ٢- إبدال فى الحركات.
- والإبدال فى الحركات نوعان :
- (١) إبدال حركة من أخرى فى بنية الكلمة وهى الحركات التى تكون على جميع حروف الكلمة ماعدا الحرف الأخير .
 - (٢) إبدال حركة من أخرى فى بناء الكلمة ، وهى الحركات التى تكون على الحرف الأخير .
- وسنذكر فيما يلى ما يوضح ذلك :

أولاً: الإبدال فى الحروف

لهذا النوع ظواهر لهجية عديدة منها:

١- العَنَنَةُ

هى كما يقول الشهاب الخفاجى: « تكرير لفظة عن »^(١) والمقصود بها هنا قلب همزة (أَنَّ) ، و(أَنَّ) عينا وتكرار ذكر (عَنَّ) بدل (أَنَّ) و(عَنَّ) بدل (أَنَّ) فى كلام من يفعل ذلك من العرب.

وقد نسبت هذه الظاهرة إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، جاء فى لسان العرب : «وعننة تميم إبدالهم العين من الهمزة، كقولهم: عن يريدون: أن . وأنشد يعقوب :

(١) شرح درة الغواص للشهاب الخفاجى بتحقيقنا : ص ٦٦٤.

فَلَا تُنْهَكِ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ وَاعْتَمِلْ
لِآخِرَةٍ لَا يُدَّ عَنَّ سَتَصِيرُهَا

وقال ذو الرمة :

أَعَن تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَثْوَلَةً
مَاءُ الصَّبَاحَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومٌ

أراد : أَأَنْ تَرَسَّمْتَ.

وقال جرّانُ العَوْدِ :

فَمَا أَهْنٌ حَتَّى كَلَنْ يَالَيْتَ عَنَّا تُرَابٌ
وَعَنَّ الْأَرْضَ بِالنَّاسِ تُخَسِّفُ

قال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم (أن)، وقيم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون: أشهدُ عَنَّا رسولُ الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف. وفي حديث قَيْلَةَ: تَحَسَّبُ عَنِّي نَائِمَةٌ، ومنه حديثُ حُصَيْنِ بْنِ مُسَيِّتٍ: أَخْبَرَنَا فُلَانٌ عَنْ فُلَانَا حَدْثَهُ، أَيْ أَنَّ فُلَانًا (١).

وقال ثعلب: فأما عننة تميم، فإن تميماً تقول في موضع أن: عن، وذكر بيت ابن هَرَمَةَ الَّذِي رَئِيَ فِي دِيَارِ بَنِي تَمِيمٍ شَاهِداً عَلَى قَلْبِ هَمَزَةٍ أَنَّ عَيْنَا، وهو قوله:

أَعَن تَفَنَّتْ عَلَى سَاقٍ مَطْرَقَةٌ
وَرَقَاءُ تَدْعُو هَدَيْلًا فَوْقَ أَغْوَادِ (٢)

(١) اللسان: عن.

(٢) مجالس ثعلب: ٨١/١.

وقد ورد فى كتاب العين : « أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين ، قال شاعرهم :

إِنَّ الْفَوَاةَ عَلَى اللَّفَاءِ قَدْ كَمَدَا

وَحُبُّهَا مُوشِكٌ عَنْ بَصْدَعِ الْكِدَا ^(١) »

وماورد فى كتاب العين يلاحظ فيه عدم قلب همزة إن التى فى أول البيت عينا لأنها مكسورة.

فمن هذه الشواهد التى ذكرها رواة اللغة لهذه الظاهرة نلاحظ أنها جميعها مقصورة على قلب همزة « أَنْ » و « أَنَّ » عينا، ولم يرد - فيما نعلم - نص أدبى وقعت فيه هذه الظاهرة لغير « أَنْ » و « أَنَّ » ، وإن كان ورد فى كتب اللغة مايفيد أن العننة تطلق على قلب الهمزة عينا فى غير (أَنْ) و (أَنَّ).

ففى تاج العروس: « قال الكسانى: ^(٢) يقال كان ذلك منا عُنْفَةً بالضم وعُنْفَةً بضمين، واعتنافا، أى انتنافا، قلبت الهمزة عينا، وهذه هى عننة بنى تميم ... واعتنفه: ابتدأه، قال الليث ^(٣): وبعض بنى تميم يقول: اعتنف الأمر بمعنى اتننفته، وهذه هى العننة ^(٤) ».

وفى الجمهرة قال ابن دريد: « وخيع الرجل فى المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة ، لأن بنى تميم يحققون الهمزة فيجعلونها

(١) العين بتحقيق درويش (مطبعة العانى - بغداد ١٩٦٧) ١/١٠٤.

(٢) هو أبو الحسن على بن حمزة المعروف بالكسانى أحد أئمة النحو. من مصنفاته :

معانى القرآن ، مات سنة ١٨٩ هـ. (هدية العارفين : ١/٦٦٨).

(٣) هو الليث بن المظفر تلميذ الخليل بن أحمد.

(٤) تاج العروس للزبيدى : ع ن ف.

عيناً، فيقولون: هذا خَبَاغُنَا، يريدون: خَبَاؤُنَا»^(١). وقال: «ويقال: كَعَصْنَا عند فلان ماشئنا وكَأَصْنَا، أى أكلنا، قال أبو حاتم: هى همزة قلبت عيناً، لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عيناً، وذلك قولهم: عَنَى فى معنى آتَى»^(٢).

وجاء فى المزهর للسيوطى: «العننة وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وقيم تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً فيقولون فى أنك: عَنَّا، وفى أسلم: عسلم، وفى إِذَنْ: عِذَنْ»^(٣). وذكر هذا فى الاقتراح له أيضاً^(٤).

وماورد فى الجمهرة يجعل تقييد الهمزة بأول الكلمة محل نظر. ومن العرض السابق لهذه الظاهرة يمكن القول بأنها غالبية فى قلب همزة (أَنْ) و (أَنَّ) المفتوحتين عيناً، وهذا سر تسميتها بالعننة، وأنها وقعت فى غير (أَنْ) و (أَنَّ) فى أول الكلمة وفى وسطها وفى آخرها كما ورد فى كتب اللغة، وإطلاق اصطلاح العننة على مثل هذا فيه شئ من المسامحة.

(١) جمهرة اللغة: ٢٣٧، ١، ٢٣٨.

ويقول العامة اليوم: (فأع أو فجع فلان عين فلان) يقصدون فجع بدل فحأ فقلبوا الهمزة عيناً. وهذا مما سجله أبو بكر الزبيدى فى كتابه لحن العامة (ص ١٣٧) فقال: «هو مفقوع العين .. والصواب: هو مفقوء العين. وقد فحأت عينه وقد تفحأ الرجل شحماً». وهذا مما سجله فى القرن الرابع من لحن أهل الأندلس إذ توفى سنة ٣٧٩هـ.

(٢) نفسه: ٧٦/٣، ٧٧.

(٣) المزهرة: ٢٢١/١، ٢٢٢.

(٤) انظر: الاقتراح: ص ٨٣.

٤- العَجْجَة

وهي إبدال الياء جيما، وقد اشتهرت نسبة هذه الظاهرة إلى قضاة وإن كان ورد ما يفيد نسبتها إلى غيرها من القبائل كما سيأتى، ويلاحظ أنها فى نسبتها إلى قضاة مقيدة بأن تكون الياء تالية للعين فى الكلمة، ولعل ذلك سر تسميتها بالعججة، فالجيم التى تبدل من الياء تالية للعين فى التسمية، جاء فى لسان العرب «العججة فى قضاة كالعننة فى قيم، يحولون الياء جميعا مع العين، يقولون: هذا راعج خرج معج، أى راعى خرج معى»^(١).

ومن نسبت إليهم هذه الظاهرة أيضا بنو فُقَيْم أحد بطون بنى دارم بن مالك بن حنظلة، وبنو حنظلة من قيم،^(٢) فقد جاء فى كتاب الإبدال لابن السكيت: «قال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بنى حنظلة: ممن أنت؟

قال: فُقَيْمَج.

قال: قلت: من أيهم؟

قال: مُرْج.

يريد: فقيمى، ومُرْجى»^(٣).

ونسبها سيبويه إلى ناس من بنى سعد مقيدة بالوقف، فقال: «وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف لأنها

(١) اللسان: ع ج ج.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص ٤٦٧.

(٣) الإبدال لابن السكيت بتحقيق د. حسين شرف (نشر مجمع اللغة العربية

خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميمي، وهذا عَلِج، يريدون: على، وسمعت بعضهم يقول: عَرَبَانِج، يريد: عَرَبَانِي،^(١) وحدثني من سمعهم يقولون:

خَالِي عَوْفٌ وَأَبُو عَلِجٍ الْمُطْعِمَانِ الشَّحْمَ بِالْقَشِجِ
وبالقُدَاةِ فَلَقٌ^(٢) الْبَرْنِجِ

يريد: بالعشي، والبرني،^(٣) فزعم أنهم أنشدوه هكذا^(٤).
وتنسب إلى هذيل، ففي حديث ابن مسعود وهو من هذيل: «فلما وضعتُ رجلى على مُدَمَّرٍ^(٥) أبى جهل قال: أعلِ عَنَجٍ. أى تنح عني.. وأراد بعنَج: عني^(٦)».
وروى عنه أيضا: على كلِّ عَنَجٍ، يريد غنيّ بتحريك الجيم^(٧).
وتنسب أيضا لطي وبعض بني أسد، وأنشد الفراء:

(١) عرباني: عربى. (اللسان: عرب).

(٢) الفلق: جمع فلقة وهى القطعة. (المصباح: ف ل ق).

(٣) البرني: ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمر، واحدته برنية، قال أبو حنيفة: أصله فارسي، قال: إنما هو بارني قالبار الحمل، وبى تعظيم. (اللسان: برن).

(٤) الكتاب: ١٨٢/٤.

(٥) المدمر: القفا. وقيل: هما عظمان فى أصل القفا. (اللسان: ذمر).

(٦) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى (نشر المكتبة الإسلامية ط ١ سنة ١٩٦٣): ٢٩٤/٣.

(٧) اللسان: (شجر ص ٢١٩٨).

بكيت والمحترز الكعج وإنما يأتى الصبا الصبح
أى البكى والصبح^(١)
وأنشد أيضا^(٢):

لاهم^(٣) إن كنت قبلت حبيبي
فلا يزال شاججاً بآتيك بهج
أقمر نهاتٍ ينزى وفرتي
يريد: حجتى، وبأتيك بهى ، وينزى وفرتى^(٣).

ويوجد بالأحساء بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية اليوم
من يقلب اليباء جيماً فى قرية الطرف، حدثنى بذلك أحد طلابى بكلية
الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء فرع جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، وذكر لى أمثلة منها: إى ينطقونها إج ومريم
ينطقونها: مرجم، ومكيف ينطقونه: مكجف، ودفاية (مدفأة) دفاجه كل
ذلك بالجيم الفصيحة وليس بالجيم القاهرية.

وقد ورد قلب الجيم ياء وهو عكس ظاهر العجعة، فقد روى فى
المزهر أن أبا حاتم سأل أم الهيثم: هل تبدل العرب من الجيم فى شئ من
الكلام؟

فقلت: نعم، ثم أنشدته:

-
- (١) انظر تاج العروس: ٣/٢ أول باب الجيم.
(٢) الأصل: اللهم، حذفت أل فصار لاهم، وقد ورد فى الشعر كثيراً. انظر حاشية
المختصر (٧٦/٢) ط عيسى الحلبى.
(٣) الإبدال لابن السكيت: ص ٩٦. والشاحج: الحمار، والأقمر الأبيض، والنهات:
النهاق، وينزى: يحرك، والوفرة: الشعر إلى شحمة الأذن.

إذا لم يكن فيكَّنْ هِلَّ ولاجنى
فَأَبْعَدُكُنَّ الله من شيرات^(١)

وقد نسبت هذه الظاهرة لتميم^(٢).

وهذه اللهجة موجودة الآن فى الكويت وفى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية فى قرية الطرف وقرية الفضول بالأحساء، وسمعتها من بعض طلابى من هذه المنطقة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء أيضا، فيقولون: شيرة وشيرات، بدل شجرة وشجرات، ودياى بدل دجاج، وريال بدل رجال، وهكذا والرجال فى لهجتهم: الرجل .

٣- الكَشْكَشَة

هذه الظاهرة كما جاء فى المزهر والاقتراح للسيوطى « فى ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شيئا، فيقولون: رأيتكش، ويكش، وعليكش، فمنهم من يشبتها فى حال الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يشبتها فى الوصل أيضا، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرهما فى الوصل ويسكنها فى الوقف، فيقول: منش وعليش»^(٣).
وأما فعلوا ذلك «حرصا على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى فى الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوا شيئا»^(٤) كما

(١) انظر المزهر للسيوطى : ٤٧٥/١، وكسرت الشين فى (شيرات) لتصح اليا.

(٢) انظر لهجات العرب لتيemor : ص ٢٤ ، ٢٥ واللهجات العربية للدكتور إبراهيم

أبو سكين : ص ١٠٥.

(٣) المزهر : ٢٢١/١ والاقتراح : ص ٨٣.

(٤) سر الصناعة لابن جنى : ٢١٦/١.

يقول ابن جنى، إذ الفصل بين المذكر والمؤنث بحرف أقوى من الفصل بحركة كما ذكر سيبويه^(١).

وأشد على هذه اللهجة فى الوصل قول المجنون:

فَعَيْنَايَ عَيْنَاهَا وَجِدْشَ جِدْهَا

سوى أَنَّ عَظَمَ السَّاقِ مِنْشِ دَقِيقُ^(٢)

وقد نسب سيبويه قلب كاف الخطاب شينا لناس كثير من تميم وناس من أسد^(٣).

وقد «قرأ بعضهم (قَدْ جَعَلَ رَبِّشَ تَحْتِشَ سَرِيًّا) لقوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبِّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا)»^(٤)،^(٥).

«ونادت أعرابية جارية : تعالين إلى مَوْلَايَ يُنَادِيشَ» كما فى القاموس^(٦).

وهذه اللهجة مازالت موجودة فى بعض البلاد العربية فى منطقة الخليج، فهى موجودة فى الكويت، وموجودة فى البحرين، وفى المنطقة الشرقية بالملكة العربية السعودية وسمعتها من أحد طلابى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، وهو من قرية الفضول، إلا أنها

(١) الكتاب : ١٩٩/٤.

(٢) سر الصناعة : ٢١٦/١.

(٣) الكتاب : ١٩٩/٤.

(٤) مريم / ٢٤.

(٥) فقه اللغة للثعالين تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مصطفى الحلبي ١٩٧٢) :

ص ١٢٩.

(٦) القاموس : كشش.

فى نطقهم ليست شيئا خالصة، بل هى شين مسبوقه بتاء ، أى (تش)، وأحسبها كانت كذلك عند القدماء وإن سجلها علماء اللغة القدامى بالشين، وهى خاصة بالمؤنث مما يرجح أنها كانت خاصة بالمؤنث فى لهجة العرب القدماء الذين رويت عنهم.

وقد سمعتها أيضا فى مصر من أحد الطلاب الصغار من قرية الزنكلون بمحافظة الشرقية، حين قرأ أمامى قوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبِّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)، وكان مشتركا فى مسابقة حفظ القرآن الكريم التى ترعاها كليتنا كلية اللغة العربية بالقازيق ، كما سمعتها أيضا من بعض أبناء تلك القرية ممن يعمل بالكلية.

ونطقها فى الزنكلون كنطق أبناء دول الخليج لها ، أى لاتقلب الكاف شيئا خالصة ، بل هى «تش».

٤- الكَشْكَشَة

هى كما ذكر السيوطى فى ربيعة ومضر، يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى المذكر سينا على ماتقدم فى الكشكشة ، وقصدوا بذلك الفرق بينهما^(١).

فيقولون : أَبُوسَ وَأُمُّسَ ، أى أبوك وأمك ، ومسررت بِكَّسَ، وخصها بعض علماء اللغة كابن جنى^(٢) والثعالبى^(٣) والفيروزابادى^(٤)

(١) المزهري : ٢٢١/١ والاقتراح : ص ٨٣.

(٢) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى الثعالبى الأديب اللغوى المتوفى سنة ٤٢٩هـ. من مصنفاته: فقه اللغة، وبتيمة الدهر . (هدية العارفين : ٦٢٥/١).

(٣) هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧هـ . (هدية العارفين : ١٨٠/٢).

بالمؤنث فى حالة الوقف، وقد نسبها ابن جنى إلى هوازن،^(١) ونسبها
الشعالبي إلى بكر^(٢)، ونسبها الفيروزابادى لتميم^(٣)، فيقولون:
أَكْرَمْتُكِش، وَأَعْطَيْتُكِش، وَمُكِّش، أَى أَكْرَمْتُكِ، وَأَعْطَيْتُكِ، وَمِنْكِ.
وهذه اللهجة لم تزل موجودة بمنطقة القصيم بالملكة العربية
السعودية، وسمعتها من بعض طلابى من القصيم بكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بالأحساء، وهى خاصة بالمؤنث، كقولهم خالِثَسْ،
أَى خَالِكْ، وَعَيْثَسْ، أَى: عَيْكْ، وَجَيْثَسْ، أَى جَيْكْ، والذى حدثنى بها
وذكر لها بعض الأمثلة من طلابى من قرية السبع من قرى الأفلاج من
منطقة نجد، وفى لهجتهم الآن قلبها سينا فى أول الكلمة وفى وسطها
أيضا، مثل: كَلْبْ، وَكَلْمَة، وَكَبِير، وَبَاكِر، فيقولون: تَسْلُبْ، وتسلمه،
وتسبير، وباتسر، وهم فى الجميع لا يقلبونها سينا خالصة، بل (تس)
كأنها تاء وسين، ولعلها كانت كذلك فى نطق الأقدمين، ولكنها سجلت
سينا خالصة عند تدوين علماء اللغة لها، لاختفاء التاء عند النطق وعدم
وضوحها فى السمع، وقد سمعتها أيضا من مؤذن بمدينة الهفوف
بالأحساء فى قوله (الله أكبر).

٥- الفَحْفَحَة

فى لسان العرب: «الفَحْفَحَةُ: تَرَدُّدُ الصَوْتِ فى الحلق شبيه
بالْبُعَّةِ». ^(٤) «والبُعَّةُ: غِلْظٌ فى الصوت وخشونة» ^(٥).

(١) الخصائص: ١٢/٢.

(٢) فقه اللغة للشعالبي: ص ١٢٩.

(٣) القاموس: كس.

(٤) اللسان: فحج.

(٥) اللسان: بحج.

وفى الزهر: «الفحفة فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا»^(١).
 ويفهم مما فى الزهر أنهم يجعلون كل حاء عينا فى كلامهم ،والذى يبدو
 لى أن ذلك مقصور على حاء (حتى) فقط وليس كل حاء، فقد روى أن
 «عمر رضى الله تعالى عنه قال لعبد الله بن مسعود حين بلغه أنه يقرئ
 الناس (عَتَى حِينَ) يريد (حَتَّى حِينَ)^(٢): إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ،
 فأقرئ الناس بلغة قریش»^(٣).

فابن مسعود رضى الله عنه قلب حاء حتى عينا فى قراءته
 المذكورة ولم يقلب حاء حين ، وقد رويت عنه قراءات أخرى شاذة ليس
 فيها (حتى) وفيها الحاء ولم تقلب عينا ، فقلوه تعالى: (مَا جِئْتُمْ بِهِ
 السِّخْرُ)^(٤) قرأه (مَا جِئْتُمْ بِهِ سِخْرٌ)^(٥) ، وقلوه تعالى: (قَلَّا
 تُصَاحِبُنِي)^(٦) قرأه : (قَلَّا تَصَحَّبَنِي)^(٧).

وقد شاركت ثقیف هذیلاً فى ظاهرة قلب حاء حتى عينا ، «قال
 الفراء : حتى لغة قریش وجميع العرب إلا هذیلاً وثقیفا فإنهم يقولون:
 عَتَى، قال : وأنشدنى بعض أهل البمامة:

(١) الزهر: ٢٢٢/١.

(٢) يوسف : ٣٥.

(٣) الفائق للزمخشري : ٣٩١/٢.

(٤) يونس / ٨١.

(٥) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (مكتبة التنبيه

بالقاهرة): ص ٥٨.

(٦) الكهف / ٧٦.

(٧) مختصر فى شواذ القرآن : ص ٨١.

لا أضعُ الدلو ولا أصلي عتي أرى جلَّتْها تُوتِي

صوادرا مثل قبابِ التلّ (١)

وقد تشكك الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل وفى تسميتها بالفحفحة، فقال: «نشك فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل، وذلك لما نعرفة عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالا روحيا تجلى فيما رواه صاحب كتاب الأصنام من أنه كان لهذيل صنم على الساحل يسمى «مناة»، وهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: «وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى» (٢). وكانت قریش تقدس هذا الصنم مع هذيل، كما كانت هذيل تقدس «هبل» صنم قریش، هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز واحتمال تأثيرهم بلهجات تلك البيئة، بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة، فكلمة «الفحفحة» إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والعججة نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه، وكان مقتضى هذا أن يكون معنى «الفحفحة» قلب العين إلى الحاء لا العكس، فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء لأمكن القول إن قبيلة هذيل المتأثرة ببيئة حضرية قد قلبت صوتا مجهورا وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء، نحن بين أمرين إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء أو نغير نسبتها لهذيل وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم.

(١) الفائق : ٣٩١/٢.

(٢) النجم / ٢٠.

ومما يبعث على الشك فى نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود أنه روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفة، أى قلب العين إلى حاء فى قوله تعالى: (قَالُوا نَعَمْ^(١)) قرأ ابن مسعود (قَالُوا نَحَمْ).

أما قراءته (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ): ^(٢) «إِذَا بُحِثِرَ» فسببه يرجع إلى أن الشاء المهموسة قد أثرت فى العين وجعلتها مهموسة أيضا ، وحين تهمس العين تصبح حاء^(٣).

وشك الدكتور أنيس فى نسبة ظاهرة الفحفة لهذيل لاتصالهم ببيئة الحجاز يرده أن اللهجات لاتخضع لقانون الاطراد، إذ هى ليست كاللغة الأدبية النموذجية التى خضعت له فى جل خصائصها.

أما قياسه مصطلح الفحفة على مصطلح الكشكشة والعجعة وما يقتضيه هذا القياس من قلب العين حاء لاقرب الحاء عينا فليس بسديد، لأن المقصود بالفحفة المعنى اللغوى لها الذى ذكرناه فى صدر حديثنا عن هذه الظاهرة ، وهو تردد الصوت فى الحلق وغلظه.

وإذا كانت هذه الظاهرة مقصورة على قلب حاء (حتى) عينا كما بدا لنا وأيدناه بما ذكرناه فلا تعارض بين قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (عَتَى) وقراءته (نَحَمْ) أو (بُحِثِرَ).

و (بُحِثِرَ) لغة قرأ بها بعض أعراب بنى أسد أيضا، قال الفراء: «وسمعت بعض أعراب بنى أسد وقرأها (أى قرأ: إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ) فقال: بُحِثِرَ، وهما لغتان : بُحِثِرَ وَبُعْثِرَ»^(٤).

(١) الأعراف / ٤٤.

(٢) العاديات / ٩.

(٣) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ١٠٨ ، ١٠٩.

(٤) معانى القرآن للفراء. تحقيق د. عبد الفتاح شلبى (الهيئة المصرية العامة

للكتاب ١٩٧٢م) : ٢٨٦/٣.

٦- الشَّنْشَنَة

هى إبدال الكاف شيئاً مطلقاً، مثل : لبّيش اللهم لبّيش ، أى لبّيك ، وتنسب لأهل اليمن^(١).

يقول حنفى ناصف : «وكان هذه الشنشنة أصل لغة شرويدة وزنكلون وماحولهما من مديرية الشرقية، حيث يبدلون الكاف فى نحو كلب وكشك وكمون شيئا أو حرفا يقرب من الشين»^(٢).

٧- الطُّمُطُمَانِيَّة

هى إبدال لام التعريف ميماً، كقولهم : طاب أمّهواء، يريدون: طاب الهواء ، وتنسب إلى حِمَيْر،^(٣) وإلى هذيل^(٤).

وقد جاء فى الآثار فيما رواه النَّمِرُ بْنُ تَوَلَّب أنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة فى قوله : ليس من امِيرٍ امْصِيامُ فى امْتَسَقِرِ . يريد : ليس من البرِّ الصيامُ فى السَقَرِ^(٥).

«ومن كلام أبى هريرة لما حوَّصر عثمان: طاب امْضَرْبُ وحلِّ امْقَتَالُ»^(٦) أى طاب الضربُ وحلَّ القتالُ.

(١) المزهر : ٢٢٢/١ . والاقتراح : ص ٨٤.

(٢) مميزات لغات العرب : ص ١٥.

(٣) انظر : فقه اللغة للثعالبي : ص ١٢٩.

(٤) انظر : معانى الحروف للرماني تحقيق : د. عبد الفتاح شلبى (نشر دار نهضة مصر) ص ٧١.

(٥) درة القواص للحريرى تحقيق : محمد أبو الفضل (ط دار نهضة مصر) . ص ٢٤٩.

(٦) معانى الحروف للرماني : ص ٧١.

يقول حفنى ناصف: «ويمكن أن يخرج عليها قول العوام فى الديار المصرية كلها إلا مديرية الشرقية: (اقبارح)، يعنون البارح، وهو أقرب يوم مضى، وأهل مديرية الشرقية يقولون: البارح»^(١).
وحدثنى بعض طلابى فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالأحساء أن فى جيزان فى جنوب المملكة العربية السعودية من يقلبون لام التعريف ميمما فى كلامهم، فيقولون: امسيارة، أمرجال وهكذا وينطقها كذلك الجنود الذين يعملون فى المنطقة الشرقية بالمملكة من أهل جيزان، وأكد ذلك أحد طلابى من جيزان، وذكر أن ثمة كلمات قليلة لا تقلب فيها لام التعريف ميمماً، مثل: البارح فى كلامهم، والفجر، والصباح، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وأيام الأسبوع.

٨ - الاستنطاء

هو إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، كأنطى فى أعطى، وتنسب هذه اللهجة لسعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس والأنصار^(٢) وأهل اليمن.

« وقد قرئ: (إِنَّا أَنْطَبْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ^(٣) ، وأنشد ثعلب :

من المنطيات ^(٤) الموكب المقع ^(٥) بعد ما

يُرى فى فروع المقلتين ^(٦) نضوب

(١) مميزات لغات العرب : ص ١٤.

(٢) الزهر : ١١١/١ ، والاقتراح : ص ٨٣ ، ٨٤.

(٣) الكوثر / ١ . وقراءة الجمهور : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) كما فى المصحف.

(٤) أى المعطيات.

(٥) فى اللسان (ماد) : معج) : « معجت الناقة: سارت سيرا سهلاً».

(٦) المراد بفروع المقلتين أعاليهما . (اللسان : فرع).

وفى الحديث: وَإِنَّ مَالَ اللَّهِ مَسْنُولٌ وَمُنْطَى، أى مُعْطَى.
وروى الشَّعْبِيُّ^(١) أن رسول الله صلى الله وسلم قال لرجل: أَنْظِرْ
كَذَا وَكَذَا، أى أَعْطِهِ... وفى حديث الدعاء : لا مَانَعَ لِمَا أَنْظَيْتَ وَلَا مُنْظِي
لِمَا مَنَعْتَ... وفى الحديث: الْبِدُ الْمُنْظِيَةُ خَيْرٌ مِنَ الْبِدِ السُّفْلَى. وفى
كتابه لوائل^(٢): وَأَنْظُوا الشَّبَجَةَ^(٣).

وظاهرة الاستنطاء موجودة اليوم فى بعض البلاد الأردنية فى
بلدة صويلح بالمملكة الأردنية الهاشمية فجرى على السنة العامة هناك،
وقد حدثنى بذلك من سعمها منهم .

٩- الْوَثَم

هو إبدال السين تاء، كالكلمات فى الناس، وتنسب هذه اللهجة لأهل
اليمن^(٤)، وروى عليها قول الشاعر:

بِاقْبَحِ اللَّهِ بَنِى السَّعْلَةِ

عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعٍ شَرَارِ النَّاتِ

لَيْسُوا أَعْقَاءَ وَلَا أَكْبَاتِ

(١) هو عامر بن شراحيل الشعبى، من الفقهاء فى الدين وجلة التابعين. مات سنة
١٠٥ هـ. (مشاهير علماء الأمصار : ص ١٠١).

(٢) هو وائل بن حجر الحضرمى ، كان ملكا عظيما يحضر موت، قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه. وكانت وفاته فى آخر ولاية معاوية رضى
الله عنه. (مشاهير علماء الأمصار : ص ٤٤) .

(٣) اللسان (مادة نظو ص ٤٤٦٥) وانظر النهاية (٧٦/٥). وأنظوا الشبجة : أى
أعطوا الوسط فى الصدقة لامن خيار المال ولا من مؤذاته. (اللسان: ثبج).

(٤) انظر: المزهرة (٢٢٢/١) والاقتراح (ص ٨٤) .

يريد: الناس، وأكياس، فقلب السين تاء^(١).

ثانياً: الإبدال فى الحركات

١ - حركات فى بنية الكلمة

ومن ذلك:

أ- كسر حروف المضارعة (تلتلة بهراء)

من المعروف أن حرف المضارعة يفتح فى غير الرباعى من الأفعال، ويضم فى الرباعى، إلا أنه نسب لبهراء كسر أوائل الأفعال المضارعة، وعرفت هذه الظاهرة بتلتلة بهراء.

ففى مجالس ثعلب: «وأما تلتلة بهراء، فإنها تقول: تَغْلُمُونَ وَتَغْلُونَ وَتَصْنَعُونَ بكسر أوائل الحروف»^(٢) أى كسر أوائل الأفعال المضارعة كما ذكر السيوطى فى المزهرة^(٣). وقال الحريرى^(٤): «أما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة، فيقولون: أنت تَغْلُم»^(٥).

وعليها قول الشاعر:

قُلْتُ لِبَوَّابٍ لَدَيْهِ دَارُهَا

يَهْدِنِ لِمَائِنِ حَمَؤُهَا وَجَارُهَا

(١) اللسان: نوت. ص ٤٥٧.

(٢) مجالس ثعلب: ٨١/١.

(٣) المزهرة: ٢١١/١.

(٤) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

من مصنفاته: درة الغواص فى أوهام الخواص. (هدية العارفين: ٨٢٧/١).

(٥) درة الغواص: ص ٢٥١.

أراد: لَتَأَذِّنْ، فحذف اللام وكسر التاء (١).
وقول الآخر :

* لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ يَتَيْمِ * (٢)

وفى حديث سعيد بن زيد: «ولو شهدت على العاشر لم
يَيْتِمِ» (٣).

وقرى: (قَبِيلِكَ فَلْيَتَفَرَّحُوا) (٤)، «(٥)، وقرئ: (وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا) (٦) (٧)، وقرئ: (وَلَا تَغْشُوا فِي الْأَرْضِ) (٨) (٩) بكسر
التاء فى الجميع.

وقد ذكر سيبويه فى كتابه أن كسر أوائل الأفعال المضارعة لغة
جميع العرب إلا أهل الحجاز، ولكنه قيد ذلك بأمرين:
(١) أن يكون المضارع ماضيه على وزن فَعِلَ بكسر العين.
(٢) ألا يكون أول المضارع ياء (١٠).

(١) اللسان: (أذن: ص ٥٢).

(٢) نفسه: (أثم: ص ٢٨).

(٣) النهاية: ٢٤/١ واللسان: (أثم).

(٤) يونس/ ٥٨.

(٥) اللسان: أذن.

(٦) هود/ ١١٣.

(٧) المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص ٦١.

(٨) البقرة/ ٦٠.

(٩) المختصر فى شواذ القرآن: ص ٦.

(١٠) انظر الكتاب: ١١٠/٤. وفى لسان العرب (وقى) أنها لغة قيس وقيم وأسد
وربيعة وعامة العرب إلا أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض
هذيل.

ب (الْوَكْم)

جمهور العرب يضم كاف الخطاب المتلوة بالميم ، كقوله تعالى :
«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» (١) .
وبعض العرب يكسرون تلك الكاف إذا كان قبلها ياء أو
كسرة (٢) .

وقد نسبت هذه اللهجة لرببعة كما فى المزهرو الاقتراح (٣) ،
ونسبها سبويه لناس من بكر بن وائل، وقال: «وهى ردينة جداً، سمعنا
أهل هذه اللغة يقولون : قال الحطيئة:

وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادَثٍ
مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضَّلْ أَحْلَامَكُمْ رَدُّوا (٤)
وعرفت هذه الظاهرة بالوكْم.

وهى موجودة الآن فى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية،
وكان أحد طلابى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ينطق
بها، وهو من قرية القارة. وهى موجودة أيضا فى قرية البطالية بالمنطقة
نفسها كما حدثنى بذلك أحد طلابى من أبناء تلك القرية، فيقولون إيش
فيكم، ومغركم، بكسر الكاف .

(١) التوبة / ١٢٨.

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور نجما: ص ٧٨ ويميزات لغات العرب لحفنى

ناصف: ص ٢٤.

(٣) المزهرة: ١/ ٢٢٢ والاقتراح: ص ٨٣.

(٤) الكتاب: ٤/ ١٩٧.

ج- الوهم

جمهرة العرب تنطق هاء (هُم) مضمومة إذا لم تسبق بياء أو كسرة، فيقولون: منهم، وعنهم. فإن سبقت بياء أو كسرة فإنها تكسر، فيقولون: عليهم وبهم.

وقبيلة كلب تنطق بتلك الهاء مكسورة مطلقا سواء سبقت بياء أو كسرة أو لم تسبق بهما^(١).

وعرفت هذه اللهجة بالوهم ونسبت لربعة أيضا.

جاء في المزهر والاقتراح: «الوهم فى لغة كلب، يقولون: منهم وعنهم وبينهم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة»^(٢).

وقال سيبويه: «واعلم أن قوماً من ربعة يقولون: منهم، أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً حصينا عندهم، وهذه لغة رديئة»^(٣).

وهذه اللهجة موجودة فى المنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية فى منطقة الأحساء فى قرية القارة وغيرها، حدثنى بذلك أحد طلابى فى كلية الشريعة بالأحساء، وذكر لى بعض أمثلتها فى نطقهم مثل: معهم، وهى موجودة أيضاً فى قرية البطالية فى المنطقة نفسها.

د (فتح همزة إ) (إما)

المشهور فى إما التى للتفصيل كسر الهمزة، كما فى قوله تعالى: «فِيَّامًا مَّا بَعْدُ وَإِيَّامًا فَيَذَآءُ»^(٤).

(١) انظر : اللهجات العربية للدكتور نجى ص ٧٨ ومميزات لغات العرب: ص ٢٤.

(٢) المزهرة: ٢٢٢/١ والاقتراح: ص ٨٣.

(٣) الكتاب: ١٩٦/٤.

(٤) محمد/٤.

وقيس وأسد وقيم يفتحون همزتها وعلى هذه اللهجة روى قول
الشاعر:

بالبتما أُمْنَا شالت نَعَامَتها
أَمَّا إلى جنة أَمَّا إلى نارٍ^(١)
وقول الآخر :

تعاورها أَمَّا شَمَالٌ عَرِيَّةٌ^(٢)
وَأَمَّا صَبَا جُنَعَ الظلامِ هَبُوبُ
وقوله :

أَمَّا أَسَارَى وَأَمَّا هَاجَهُم فَزَعٌ
بين الرِّبِضِ بَكْدُ المِطْطَى الفَرَا^(٣)

هـ - كسر اول فعيل

المشهور في فعيل فتح أوله سواء أكان ثانيه حرفاً من حروف
الخلق أم لا ، ولكن بعض العرب يكسرون أوله إذا كان ثانيه حرفاً حلقياً ،
فيقولون: رَغِيف بكسر الراء ، وشَعِير بكسر الشين ، وزَيْتِير بكسر الزاى .
وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم^(٤) ، ونسبها ابن فارس إلى
أسد، وقيس^(٥) .

(١) اللهجات العربية للدكتور نجما ص ٧٨ ، ٧٩ ومميزات لغات العرب : ص ٢٣ .

(٢) عرية : باردة .

(٣) تثقيف اللسان لابن مكى بتحقيق د . عبد العزيز مطر (نشر دار المعارف) : ص

٢٨٦ .

(٤) الكتاب : ١٠٧/٤ ، ١٠٨ .

(٥) الصحابي : ص ٣٤ .

وهذا ضرب من تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق كما ذكر ابن جنى ، وقال: «وسمعت الشَّجَرِيَّ^(١) غير مرة يقول: زئير الأسد، يريد : الزئير.

وحكى أبو زيد^(٢) عنهم : الجنة لمن خاف وعبد الله»^(٣) . أى بكسر الواو فى وعبد.

« وناس من أهل اليمن مما يلى الشحر وعُمان يكسرون فاء فعيل كله، فيقولون للكثير : كثير» كما جاء فى كتاب العين للخليل بن أحمد^(٤).

٢- حركات فى بناء الكلمة

ومن ذلك :

أ) كسر ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم المشهور فتح ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم، كما فى القرآن الكريم «مَا أَنَا بِمُصْرِخُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ»^(٥).

(١) هو عبد الله الشجرى صاحب ابن جنى الذى روى عنه كثيرا فى كتبه، وكان

يقول الشعر. (انظر الخصائص: ٧٨/١، ٢٤٠، ٢٥٠).

(٢) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى، كان من أحفظ الناس للغة، من

مصنفاته: النوادر. مات سنة ٢١٥هـ. (نزهة الألباء: ص ١٢٥).

(٣) الخصائص: ١٤٣/٢.

(٤) العين: ١٧٥/٧.

(٥) إبراهيم ٢٢/.

وفى الحديث: «أو مخرجتي هم؟» (١).

ولهجة بنى يربوع كسرهما.

وبها قرئ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي» بكسر الياء، وهى قراءة حمزة والأعمش وغيرهما (٢).

ب) الضميران هو وهى

هو وهى من ضمائر الرفع المنفصلة، والمشهور نطقهما بفتح الواو من هو والياء من هى، فيقال: هُوَ فَعَلَ ذلك، وهى فَعَلَتْ ذلك.

وقد نسب إلى قيس وأسد تسكين الواو من هو والياء من هى، فيقولون: هُوَ فَعَلَ ذلك، وهى فَعَلَتْ ذلك.

وعلى هذه اللهجة أنشد قول الشاعر:

وَرَكَّضَكَ لَوْلَا هُوَ لَقِيتَ الَّذِي لَقُوا

فَأَصْبَحْتَ قَدْ جَاوَزْتَ قَوْمًا أَعَادَهَا

وقول الآخر:

وَكُنَّا إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ كَرِهَةٍ فَقَدْ عَلِمُوا أَنَّى وَهُوَ قَتِيَانٍ

وقوله:

أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرْ

(١) صحيح البخارى (ط دار مطابع الشعب) : ٤/١. والأصل: أو مخرجوى،

فاجتمعت واو ساكنة وياء، فأبدلت الواو ياء، وأدغمت فى الياء، وأبدلت

الضمة التى كانت قبل الواو كسرة.

(٢) انظر: شرح الكافية للرضى (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ ط ٣)

٢٩٥/١ ومنار السالك إلى أوضح المسالك (مطبعة الفجالة الجديدة) : ١/

٤٤٨، والمحاف فضلاء البشر: ص ٢٧٢ ومميزات لغات العرب: ص ٢٣.

وقوله:

إِنَّ سَلْمَى هِيَ التَّى لَوْتَرَايْتُ هَذَا هِيَ مِنْ خَلَّةٍ لَوْ تَحَابَى
والشاهد فى (هى) الثانية.

وقد ورد تشديد الواو من هو والياء من هى ، ونسب ذلك إلى همدان.
وأشد عليه قول الشاعر:

وَإِنَّ لِسَانِي شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بِهَا وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهُ اللَّهُ عَلَقَمُ
وقول الآخر:

وَالنَّفْسُ مَا أَمَرْتُ بِالْعَنْفِ آبِيَّةٌ وَهِيَ مَا أَمَرْتُ بِاللُّطْفِ تَائِمَةٌ^(١)
ونطق العامة فى مصر اليوم لهذين الضميرين يوافق لهجة همدان.

جاء هاء التنبيه الداخلة على نعت أى فى النداء

المشهور فى هذه الهاء بناؤها على الفتح ووصلها بألف تظهر عند
الوقف ، فيقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وَيَا أَيُّهَا الرَّجُلُ، وبنو أسد يحذفون الألف
ويضمون الهاء إتباعا، إذا لم يتلها اسم إشارة، فيقولون: يَا أَيُّهُ النَّاسُ،
يَا أَيُّهُ الرَّجُلُ، وعليه قراءة ابن عامر (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ)،^(٢) و (أَيُّهُ
التَّقْلَانِ)^(٣)، و (يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ)^(٤) فى الوصل.

أما إذا تلاها اسم إشارة فتفتح عند الجميع، مثل: يَا أَيُّهَذَا^(٥).

(١) انظر: لسان العرب (ص ٤٥٩٥، ٤٥٩٧، ٤٧٤٣ هـ)، وشرح

الكافية للرضى (١٠/٢) واللهجات العربية للدكتور نجما ص ٧٩.

(٢) النور / ٣١. وانظر الإتحاف (ص ٣٢٤).

(٣) الرحمن / ٣١. وانظر الإتحاف (ص ٤٠٦).

(٤) الزخرف / ٤٩. وانظر الإتحاف (ص ٣٨٦).

(٥) انظر: مغنى اللبيب لابن هشام (ط عيسى الحلبي): ٢٧/٢، ٢٨، ومميزات

لغات العرب: ص ٢٣.

(د) ما كان اسما للفعل على وزن فَعَالٍ

اسم فعل الأمر الذى على وزن فعال كحذار بمعنى احذر مبنى على الكسر عند جمهور العرب، وعليه قول الشاعر:

* حَذَارٍ مِنْ أَرْمَاجِنَا حَذَارٍ *

وقول الآخر :

* تَرَاكِهًا مِنْ إِبِلٍ تَرَاكِهًا *

أى اتركها

وبنو أسد يفتحون آخره (١).

الاختلاف فى الإعراب

أوجه الإعراب هى الرفع والنصب والجزم والذى يعنينا هنا منها ما اختصت به بعض القبائل دون سائر العرب، ومن ذلك ما يلى :

(أ) المثنى

يرفع المثنى بالألف وينصب ويجزم بالياء، وهذا هو المشهور فى إعرابه، ولكن بعض القبائل العربية خالفت جمهور العرب فى ذلك وألزمته الألف فى جميع أحواله، ونسبت هذه الظاهرة إلى بلحارث بن كعب وخشعم وزبيد وكنانة وبنى العنبر وبنى هجيم وعذرة ويطون من ربيعة ويكر بن وائل، وعليها قول الشاعر:

(١) انظر : شرح شذور الذهب : ص ٨٩ وما بعدها.

تَزَوَّدَ مِنَّا بِبَيْنٍ أَذْنَاهُ طَعْنَةٌ

دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التَّرَابِ^(١) عَقِيمٍ

وقول الآخر :

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قد بلغا في المجد غايتها
 وخرج عليها قراءة قوله تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ^(٢)»، بتشديد
 نون إن وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا وتران في ليلة»^(٣).
 وتخريج القراءة المذكورة على هذه اللهجة في رأينا أولى من تلك
 التخريجات الأخرى التي ذكرها بعض النحاة والتي لا تخلو من
 التعسف^(٤).

(١) الهابي من التراب: ما ارتفع ودق. (اللسان : هبا) .

(٢) طه / ٦٣ .

(٣) انظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٧ ط ٧) :
 ص ٤٦ - ٤٨ ، والظواهر اللهجية في شرح ابن عقيل للدكتور شعبان عبد
 العظيم (مطبعة حسان ١٩٨٩) : ص ٨.

(٤) فقد قيل: إن (إِنَّ) بمعنى نعم كما في قول ابن الزبير لرجل قال له : لعن الله
 ناقة حملتني إليك: إن وراكبها. أى نعم ولعن الله وراكبها. وهذان مبتدأ
 وساحران خبر لمبتدأ محذوف أى لهما ساحران والجملة خبر هذان، ولا يكون
 (لساحران) خبر (هذان) لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ.
 وقيل: إن الأصل إنه هذان لهما ساحران ، قالها ضمير الشأن، وما بعدها
 مبتدأ وخبر ، والجملة في موضع رفع على أنها خبر إن ثم حذف المبتدأ وحذف
 ضمير الشأن.

وقيل: إنه لماثنى (هنا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة
 منهما لالتقاء الساكنين ، ومن قدر المحذوفة ألف هذا والباقية ألف التثنية =

(٢) إعمال ما عمل ليس

تعمل (ما) عمل ليس عند أهل الحجاز بشروط خاصة مذكورة في كتب النحو^(١)، فيرفعون بها المبتدأ وينصبون الخبر، وعلى لهجتهم قوله تعالى: «مَا هَذَا بَشَرًا»^(٢) بنصب (بَشَرًا) وقوله تعالى: «مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ»^(٣) بنصب (أُمَّهَات).
وقول الشاعر:

أبناؤها متكنفو آبائهم حنقو الصدور وما هم أولادها
بنصب (أولادها).

وينو قيم أهملوا إعمالها، فهي لاتعمل عندهم شيئاً، ولهجتهم قرأ ابن مسعود (مَا هَذَا بَشَرًا) برفع (بشر). ونقل عن عاصم (مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) برفع (أُمَّهَات)^(٤).

= قلبها في الجر والنصب يا ، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها.
وقيل: إنه لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في
التثنية ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه. (انظر: شرح شذور الذهب :
ص ٤٨، ٤٩).

(١) انظر شرح ابن عقيل على الألفية (مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر) :
ص ٤٤.

(٢) يوسف / ٣١.

(٣) المجادلة / ٢.

(٤) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل (ط. عيسى الحلبي): ١١٩/١.

(٣) خبر ليس المقتنون بإلا

إذا اقترن خبر ليس بإلا نحو: ليس الطيب إلا المسك ، فأهل الحجاز ينصبونه ، وينو تميم يرفعونه حملاً ليس على ما فى الإهمال عند انتقاض النفى ، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس فى الإعمال عند استيفاء شروطها .

وقد حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء ، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الشقفي^(١) فجاء ، فقال: يا أبا عمرو ، ما شئ بلغنى عنك؟ ثم ذكر ذلك له ، فقال له أبو عمرو: نعمت وأدلىج^(٢) الناس ، ليس فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع ولا حجازى إلا وهو ينصب ، ثم قال لليزىدى^(٣) وخلف الأحمر^(٤): اذهباً إلى أبى مهدى فلقناه الرفع فإنه لا يرفع وإلى المنتجع التميمى فلقناه النصب فإنه لا ينصب ، فأتياهما وجهدا بكل منهما

(١) كان ثقة عالماً بالعربية والنحو والقراءة ، وكان فصيحاً يتقعر فى كلامه . مات سنة ١٤٩ هـ . انظر ترجمته فى : طبقات النحويين واللغويين ص ٤٠ ونزهة الألباء ص ٢١ .

(٢) الإدلاج : سير الليلة كله . (المصباح : دلج) .

(٣) هو محمد بن المبارك اليزىدى ، كان عالماً باللغة والنحو وأخبار الناس ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وغيره . مات سنة ٢٠٢ هـ .

انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ص ٦١) ونزهة الألباء (ص ٨١) .

(٤) هو أبو محرز خلف بن حيان المعروف بخلف الأحمر ، كان أعلم الناس بالشعر . مات سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين (ص ١٦١) ونزهة الألباء (ص ٥٨) وهدية العارفين (ص ٣٤٨) .

أن يرجع عن لغته فلم يفعل، فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى، فقال له عيسى: بهذا فقت الناس^(١).

٤) نصب الخبر بعد (إن النافية)

تعمل إن عمل ليس في لغة أهل العالية^(٢) فترفع المبتدأ وتنصب الخبر، سمع من بعضهم: **إِنْ أَخَذَ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَاقِبَةِ**، وعليها قول الشاعر:

إِنْ هُوَ مُسْتَوَلِبًا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أضعف المجانين
وقول الآخر:

إِنْ الْمَرْءُ مَيِّتًا بَانْقِضَاءَ حَيَاتِهِ

ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا

وقرأ سعيد بن جبير: **(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ^(٣))** فنصب (عبادا)^(٤).

وقراءة الجمهور: **(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ)**.

(١) انظر مغنى اللبيب لابن هشام (ط. عيسى الحلبي) (٢٢٧/١) وانظر الحكاية المذكورة في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص ٤٣، ٤٤) فثمة تفصيل في روايتها.

(٢) العالية: ما فوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ما وراء مكة. (اللسان: ع ل و).

(٣) الأعراف / ١٩٤ وانظر المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص ٤٨).

(٤) انظر: مغنى اللبيب (٢٢/١) ومنار السالك إلى أوضاع المسالك (١/١٤٩) وشرح ابن عقيل على الألفية (ص ٤٥).

(٥) جواسم لعلّ

لعلّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر ولكن بنى عقيل يخالفون جمهرة العرب فى ذلك ويجرون بها الاسم الواقع بعدها، وعليه قول الشاعر:

فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وارْفَعْ الصَوْتَ جَهْرَةً
لَعَلَّ أَبَى الْغَوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

وقول الآخر:

لَعَلَّ اللّهِ فَضَّلَكُمْ عَلَيْنَا بشئ أن أَمَّكُمْ شَرِيحُ (١)

(٦) الجرب - (هتئى)

تستعمل متى عند هذيل استعمال من الجارة، فيجرون بها، ومن كلامهم: أخرجها متى كمه، يريدون من كمه، وقول أبى ذؤيب الهذلى يصف السحاب:

كِرِينَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ
مَتَى لُجَجٍ خُضِرٍ لَهَنَ تَنِيحُ (٢)

أى مِنْ لُجَجٍ.

وقول الآخر :

إِذَا أَقُولُ صَحَا قَلْبِي أُتِيحَ لَهُ

سُكْرٌ مَتَى قَهْوَةٍ سَارَتْ إِلَى الرَّاسِ

أى مِنْ قَهْوَةٍ. (٣)

(١) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل: ٢٢٦/١. وشريم: مفضاه شق مسلكاها

فصارا شيئا واحداً. (اللسان: شرم).

(٢) التنيح: الصوت. (اللسان: نأج).

(٣) انظر: حاشية الخضرى على ابن عقيل (٢٢٦/١) واللسان (متى ص ٤١٣١).

(٤١٣٢). والقهوة: الخمر. (اللسان قها ص ٣٧٦٧).

(٧) صرف مالا ينصرف للوصفية وزيادة الألف والنون

بنو أسد يصرفون مالا ينصرف إذا كانت علة منعه من الصرف
الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون: لست بسكران، ويؤثونه
بالتاء ويستغنون فيه بفعلاثة عن فعلى ، فيقولون سكرانة^(١).

(٨) نصب تمييز كم الخبرية المفرد

بنو تميم ينصبون تمييز كم الخبرية إذا كان مفردا ، فيقولون: كم
ملكاً باد ملكه، بنصب ملكاً، وجمهور العرب يجره ، فيقولون: كم ملك
باد ملكه، بالجر.

وعلى لهجة تميم روى بيت الفرزدق وهو تميمي:

كَم عَمَّةٌ لَكَ بِأَجْرٍ وَخَالَةٍ

فَدَعَاءٌ^(٢) قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي

بنصب عَمَّة.

وخرج بعضهم النصب على أن كم فى البيت استفهامية
والاستفهام للتهكم، ولا ضرورة إلى هذا التخرىج مادام يروى على لهجة
تميم^(٣).

(١) انظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٢٣٤/٣)

وحاشية الخضرى على ابن عقيل (٩٨/٢).

(٢) الفدع بفتح الفاء والذال: اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف
والقدم إلى الجانب الأيسر، يقال : رجل أفدع، وأمرأة فدعاء. (المصباح: فدع).

(٣) انظر: مغنى اللبيب لابن هشام (١٥٨/١، ١٥٩) وحاشية الصبان (٨١/٤)

ومميزات لغات العرب (ص ١٩).

٩ (أعمال القول عمل ظن

بنو سليم يعملون القول عمل ظن مطلقا فينصب المفعولين،
فيقولون: قلت زيدا قائما، أى : ظننت زيدا قائما، وعليه يروى قول
امرئ القيس:

* تقول هزىّ الريح مرت بأثاب *

وفى لغة جمهور العرب لا يعمل ذلك إلا بشروط، منها: أن يكون
فعلا مضارعا، وأن يكون بعد استفهام، وأن يكونا متصلين، أى الفعل
المضارع والاستفهام، وأن يكون مسندا للمخاطب، وألا يتعدى باللام،
كقولك: أتقول زيدا قائما؟.

ولهذا أشار ابن مالك بقوله:

وَأَجْرَى الْقَوْلُ كَهَيْ مَطْلَقَا عِنْدَ سَلِيمٍ نَحْوُ قُلْ ذَا مُشْفِقًا (١)

التردد بين الإعراب والبناء

مما تردد بين الإعراب والبناء فاختلفت به لهجات العرب مايلي:

(١) الذين

من الأسماء الموصولة (الذين) وهى مبنية على الفتح فى الرفع
والنصب والجزم عند جمهور العرب، وبنو هذيل أو عقيل يعربونها إعراب
جمع المذكر السالم، وروى على لهجتهم قول الشاعر:

نَحْنُ اللَّذَوْنَ صَبَحُوا الصَّبَا
يَوْمَ النَّخِيلِ غَارَةً مِلْحَا (٢)

(١) انظر: منار السالك إلى أوضح المسالك : ٢٢٦/١ وما بعدها.

(٢) انظر: حاشية الخضرى على ابن عقيل : ٧٢/١.

(٢) أمس

إذا أريد بـ (أمس) اليوم الذى قبل يومك فللعرب فيه ثلاث لغات:

(أ) لغة أهل الحجاز، وهى بناؤه على الكسر مطلقا، فيقولون ذهب
أمس بما فيه ، وأعتكفتُ أمس، وعجبتُ من أمس، وروى على
هذه اللغة قول الشاعر:

مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ وطلوعُها من حيثُ لا تُسِي
وطلوعُها حمراء صافية وغروبُها صفراء كالقوسِ
اليوم أعلم مايجىء به ومضى بفصل قضائه أمس
(ب) لغة بعض بنى تميم، وهى إعرابه إعراب مالا ينصرف مطلقا،
وعليها قول الشاعر:

لقد رأيتُ عجباً مذ أَمَسَا * عَجائِزاً مِثْلَ الشَّعَالِي خَمَسَا
يَأْكُلْنَ مافي رَحْلِهِنَّ هَمَسَا * لا تَرَكَ اللهُ لِهِنَّ ضِرْسَا
(ج) لغة جمهور بنى تميم ، وهى إعرابه إعراب مالا ينصرف فى حالة
الرفع فقط، وبينونه على الكسر فى حالتى النصب والجر.
فإذا أريد بـ (أمس) يوم من الأيام الماضية، أو كسر، أو دخلته
أل، أو أضيف، أعرب عند الجميع.

قال الشاعر :

مَرَّتْ بنا أَوَّلَ من أُمُوسِ * قَمِيسُ فِينامِيسَةَ العُروسِ
وتقول: ماكان أَطْيَبَ أَمَسَنَا.

وقال الشاعر:

فإنى وقفتُ اليومَ والأمس قبله بهابك حتى كادت الشمسُ تغربُ^(١)

(١) انظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (ص ٩٨ وما بعدها) وشرح قطر الندى له
(ص ١٥ وما بعدها).

(٣) ما كان على (فعال) وهو علم مؤنث

للعرب فيما كان على فعال وهو علم مؤنث ثلاث لغات:

(أ) لغة أهل الحجاز ، وهى بناؤه على الكسر مطلقاً ، وعليها قول الشاعر:

إِذَا قَالَتْ خَدَامٌ فَصَدَّقُوا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ خَدَامٌ

(ب) لغة بعض بنى تميم ، وهى إعرابه إعراب مالا ينصرف مطلقاً.

(ج) لغة جمهور بنى تميم ، وهى بناء ما آخره راء من ذلك على الكسر ، وماليس آخره راء يمنع من الصرف ، قال الفرزدق:

مَتَى تَرِدُنْ يَوْمَا سَفَارٍ تَجِدْ بِهَا

أَدَبُهُمْ يَرْمَى الْمُسْتَجِيرَ الْمَعُورَا ^(١)

(٤) هـ

المشهور فيها فتح العين ، وهو فتح إعراب ، ولهجة ربيعة وغمم

بناؤها على السكون ، فيقولون : مَعَكُمْ وَمَعْنَا ، وعليها قول الشاعر:

قَرِيشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا ^(٢)

وفى منطقة القصيم بالملكة العربية السعودية يقول الناس اليوم:

مَعَكُمْ وَمَعْنَا وَمَعَهُمْ ، بإسكان العين ، كما كان ينطق بها فى لهجة ربيعة وغمم قديماً .

(١) انظر : شرح شذور الذهب (ص ٩٥ وما بعدها) وشرح قطر الندى (ص ١٤ ، ١٥) .

والمستجيز : المستسقى . والمعور : الذى لا يسقى إذا طلب الماء .

(٢) انظر: حاشية الصبان : ٢٦٥/٢ ، واللسان (مع) .

وهذا مقصور على ضمير الجمع المتصل للمتكلمين والمخاطبين والغائبين، وكذا إذا سبقت (مع) الاسم الظاهر، مثل: مع خالد، فيسكنون العين، أما إذا أفرد الضمير للمتكلم أو المخاطب، كقولك : معى أو معك، فيكسرون الميم والعين، كما حدثنى بذلك أحد طلابى من أهل منطقة القصيم، أما مع ضمير الغائب المفرد فيضمون الميم والعين، فيقولون: مُعُه، أما مع المؤنثة فيقولون: مَعَه ، أى بدل معها، كما يقولون: كِتَابَةٌ، بفتح الباء وإسكان الهاء بدل كِتَابُهَا.

الزيادة والنقصان

عما اختلفت به لهجات العرب زيادة حرف فى الكلمة أو نقصه منها، ومن أمثلة ذلك مايلى:

(١) اللَّخْلَخَانِيَّةُ

اللخلخانية كما يقول الزمخشري: «اللكنة فى الكلام ، وهى من معنى قولهم: لَخ فى كلامه، إذا جاء به ملتبسا مستعجما^(١)». وهى «فى لغات أعراب الشَّحْر وعُمان ، كقولهم : مشا الله كان، يريدون : مشاء الله كان^(٢)».

وهذه اللهجة شائعة على ألسنة العامة فى مصر اليوم، وعليها قولهم: «يامشا الله عليه، ويا مشا الله عليها» وقولهم: فلانة اشترت مشا الله ، يريدون: القطعة الذهبية التى كتب عليها (مشاء الله) التى تعلق فى جيد المرأة.

(١) الفائق: ٣/٣١٢.

(٢) فقه اللغة للثعالبي: ص ١٢٩.

وقولهم : ماوَّرد ، ومازَّهر ، يريدون : ماء ورد ، وماء زهر.

(٣) القُطْعة

هى قطع اللفظ عند النطق به قبل تمامه ^(١)، وتنسب لطنى، جاء فى اللسان: «القطعة فى طنى كالعننة فى قيم، وهو أن يقول: يا أبا الحكا، يريد: يا أبا الحكم، فيقطع كلامه» ^(٢).

وهى تشارك الترخيم فى أنها حذف آخر الكلمة إلا أن الحذف فى الترخيم مقصور على آخر الاسم المنادى ^(٣).

وهذه الظاهرة شائعة عندنا فى نطق العامة فى بعض مدن وقرى محافظة الغربية، ومنها قريتى محلة منوف التابعة لمركز طنطا.

(٣) حذف نون (من) الجارة

نون (من) الجارة تبقى دائماً سواء أوليها متحرك أو ساكن، وخشعم وزيد من قبائل اليمن يحذفون النون إذا وليها ساكن، وعلى هذه اللهجة روى قول الشاعر:

لقد ظفر الزَّوَّارُ أظْفَةً العدا بما جاوزَ الأَمَالَ مِلَّاسِي وَالْقَعْلَ ^(٤)
وقول الآخر:

أبلغ أبا دَخْتَنُوسَ مَالِكَةً ^(٥) فَهَرَّ الَّذِي قَدْ يُقَالُ مِ الْكَدِبِ

(١) مميزات لغات العرب : ص ٣١.

(٢) لسان العرب : قطع ص ٣٦٨.

(٣) مميزات لغات العرب : ص ٣١.

(٤) نفسه : ص ٣٢، ١٣.

(٥) المألكة : الرسالة . (اللسان : ألك).

وقوله:

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي عَوْفٍ رُسُولًا فَمَا رِمَ الْآنَ فِي الطَّيْرِ اعْتِدَارًا^(١)
وهذه الظاهرة شائعة على السنة العامة عندنا في مصر الآن.

٤) اللذان واللتان

الشائع فيهما بقاء النون، ولهجة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة حذف النون منهما في حالة الرفع، وعليها قول الشاعر:

أَبْنَى كُتَيْبٍ إِنَّ عَمَى اللِّدَا قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَتَّكَ الْأَغْلَالَا
وقول الآخر:

هُمَا اللَّتَا لَوْ وَلَدَتْ قَيْمٍ لَقَبِلَ فَخْرٌ لَهُم صَمِيمٌ
وقيم وقيس يشبتون النون فيهما ويشددونها، فيقولون: (اللَّذَانِ وَاللَّتَانِ) بالتشديد.

وقد قرئ: (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ)^(٢)، ولا يختص ذلك بحالة الرفع، فقد قرئ أيضا: «رَكْنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّتْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْأَنْسِ»^(٣)، و«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ»^(٤) بالتشديد^(٥).

(١) اللسان : (من) ص ٤٢٨٢.

(٢) النساء / ١٦.

(٣) فصلت / ٢٩.

(٤) القصص / ٢٧. والقراءات المذكورة قرأ بها ابن كثير. (انظر الإتحاف: ص ١٨٧).

(٥) انظر : منار السالك إلى أوضاع المسالك : ٧٨/١ ، ٧٩ وحاشية الصبان : ١/

(٥) اللّاتيان باللام بعد اسم الإشارة

بنو تميم لا يأتون بلام البعد بعد اسم الإشارة مطلقا، وقيس وأسد وربيعة يأتون بهذه اللام بعد اسم الإشارة الذى للمفرد والجمع فى حالة القصر، ومنه قول الشاعر:

أُولَئِكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً^(١)

وهل يعطُ الضليلَ إلا أُولَئِكَ

وقيم تقصر اسم الإشارة للجمع كقيس وربيعة وأسد إلا أنهم لا يأتون باللام معه^(٢).

(٦) إسناد الفعل إلى الظاهر المثنى والجمع

إذا أسند الفعل إلى ظاهر مثنى أو مجموع فجمهور العرب يجردونه من علامة تدل على تثنيته أو جمعه ، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد ، فلا يقولون : قاما الزيدان ، ولا قاموا الزيدون ، ولا قمن الهندات ، وإنما يقولون: قام الزيدان ، وقام الزيدون ، وقامت الهندات. وقد حكى عن طى وأزد شذوثة إلحاق هذه العلامات بالفعل، وروى على هذه الظاهرة قول الشاعر:

تَوَلَّى قِتَالَ المَارِقَيْنِ بِنَفْسِهِ وَقَدْ آسَلَمَاهُ مُبَعَدٌ وَحَمِيمٌ

وقول الآخر :

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخْبِ لِي أَهْلِي فَكُلُّهُمْ يُعَذِلُ

(١) الأشابة : أخلاط الناس تجتمع من كل أوب. (اللسان : أشب).

(٢) انظر : حاشية الصبان: ١/١٤٢، واللهجات العربية للدكتور نجا : ص ٩٣.

وقوله:

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّبَبَ لَاحَ بِعَارِضِي
فَأَعْرَضَنَ عَنِّي بِالْحُدُودِ النَّوَاضِرِ^(١)

(٧) إشباع حركاتي الضميين المتصلين التاء والكاف
التاء والكاف من الضمائر المتصلة، والأول منهما للرفع والثاني
للنصب، وإذا خوطب بهما المفرد المذكور نطقا بالفتح، وإذا خوطب بهما
المؤنث نطقا بالكسر.

وربيعة تشبع الفتحة فيتولد منها ألف، وتشبع الكسرة فيتولد
منها ياء، فيقال بلهجتهم في خطاب المفرد الذكر: قمنا. ورأيتكما،
ويقال في خطاب المؤنثة: قمتي، ورأيتكي^(٢)، وعليها قول الشاعر:
وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتَ كَفِّي مُصَاحَبَتِي
لَقُلْتُ لِلْكَفِّ بَيْنِي إِذْ كَرِهْتِنِي^(٣)

(٨) ما جاء على فَعَلَ وَأَفْعَلَ والمعنى واحد
من ذلك :

(١) انظر : الظواهر اللهجية في شرح ابن عقيل للدكتور : شعبان عبد العظيم
ص ٢٣، ٢٤.

(٢) اللهجات العربية : د. نجما : ص ٩٢ ، ٩٣.

(٣) طلبة الطلبة لأبي حفص النسفي : ص ١٠٧.

أ) فتن وأفتن

أهل الحجاز يقولون: فتن الرجل، وأهل نجد يقولون: أفتنته. (١)

ب) سحت وأسحت

سحت الرجل الشيء وأسحته : استأصله (٢).

وأهل الحجاز يقولون : سحت ، وأهل نجد وقيم يقولون :

أسحت (٣).

ج) عصفت وأعصفت

عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها (٤).

وينو أسد يقولون : أعصفت ، وغيرهم يقول: عصفت (٥).

د) ضحك وأضحك

بلحارث بن كعب يقولون: ضَحِكَت النخلةُ ، أى أخرجت ضَحَكها

وهو الطَّلَع، وغيرهم يقول : أضحكت النخلة (٦).

هـ) سرى وأسرى

الحجازيون يقولون : أسرى وغيرهم يقول: سرى (٧).

(١) معاني القرآن للفراء: ٣٩٤/٢.

(٢) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج (نشر وتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي): ص ٢١.

(٣) إتحاف فضلاء البشر: ص ٣٠٤.

(٤) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج: ص ٢٩.

(٥) اللسان والتاج: (عصف).

(٦) المنجد في اللغة لكراع النمل تحقيق د. أحمد مختار عمر وضاهى عبد الباقي

(مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٧٦): ص ٢٤٥.

(٧) انظر المصباح المنير: (سرى).

الاختلاف فى هيئة النطق

تختلف القبائل فى هيئة النطق بالكلمات والنطق بالعبارات،
فالعبرة الواحدة المركبة من كلمات معينة وإن كانت متحدة مادة تختلف
هيئة تبعا لعادات الناطقين بها، وذلك عام فى اللغة العربية وفى سائر
اللغات، والاختلاف فى هيئة النطق يكون بالشدة والرخاوة، والسرعة
والبطء، والتفخيم والترقيق، والوصل والقطع، والإمالة والفتح.
ونقلة اللغة العربية على الرغم من جهدهم المشكور لم ينقلوا لنا
الهيئات التى كان عليها نطق العرب، ولم يضعوا لها فى الكتابة
إشارات تدل عليها.

وقد نقل العلماء أن بنى قضاة كانوا إذا تكلموا لاتكاد تظهر
حروفهم ولا تتميز كلماتهم، وعدوا ذلك عيباً، وسموا هذه الظاهرة
غمغمة قضاة^(١)، ولكنهم لم يذكروا لها مثالا، ولا يمكن معرفة حقيقة
هذه الظاهرة إلا بالمشاهدة، وأين هى؟

على كل حال فالقبائل البدوية بوجه عام تميل إلى الاقتصاد فى
المجهود العضلى والسرعة فى الكلام، ولذا فهى تميل إلى التفخيم والإمالة
والإدغام، والقبائل الحضرية تميل إلى الوضوح وإظهار الأصوات، وهاك
ما يبين ذلك فيما يلى :

(١) مميزات لغات العرب، ص ٣٧ وما بعدها يتصرف.

(١) التفخيم والترقيق

التفخيم : جعل جسم الحرف سمينا حتى يمتلئ الفم بصداه.
والترقيق: جعل جسم الحرف نحيفا فلا يمتلئ الفم بصداه^(١) ، ومن
أمثلة ذلك مايلي:

(١) بين التاء والطاء

تقول تميم: أفلطنى بالطاء بدلاً من أفلتنى، ففى اللسان:
«وأفلطنى الرجل إفلاطاً مثل أفلتنى، وقيل: لغة فى أفلتنى تيممية
قبيحة»^(٢).

وتميم من القبائل البدوية فهى تؤثر الطاء على التاء لميلها إلى
التفخيم.

(ب) بين السين والصاد

بنو العنبر يقولون فى الساق: الصاق، جاء فى اللسان : «الصاق
لغة فى الساق عنبرية»^(٣).

وبنو العنبر كما مر فى حديثنا عن القبائل العربية بطن من تميم،
فهم من القبائل البدوية التى تميل إلى التفخيم.

(١) اللهجات العربية : د. نجما : ص ٩٩.

(٢) اللسان : (فلط) ص ٣٤٦١.

(٣) اللسان : (صوق) ص ٢٥٢٨.

ج) بين القاف والكاف

فى اللسان قال يعقوب: (١) « قريش تقول : كشط ، وقيم وأسد يقولون: كشط ، وفى التنزيل العزيز: (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) ، (٢) قال الفراء: يعنى نزع فتطويت ، وفى قراءة عبد الله: « كُشِطَتْ » بالقاف والمعنى واحد (٣) » .

وقيم وأسد من القبائل البدوية التى تميل إلى التفخيم ، ولذا آثروا صوت القاف على صوت الكاف .

٢) الفتح والإمالة

الفتح : فتح الفم بلفظ الحرف .

ويقال له : التفخيم والنصب .

والإمالة : أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (٤) .

والذى يعيننا هنا لهجات القبائل العربية فى الفتح والإمالة ، فأى

القبائل كانت تؤثر الفتح؟ وأى القبائل كانت تؤثر الإمالة؟

يكاد القدماء يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز وأن الإمالة

لهجة تميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد كأسد وقيس ، وذكر السيوطى

فى الإتقان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ (يَا يَحْيَى) (٥) فقبل له:

(١) هو ابن السكيت .

(٢) التكويد / ١١ .

(٣) اللسان : (كشط) ص ٣٨٨٢ .

(٤) الإتحاف : ص ٧٣ .

(٥) مریم / ١٢ .

يارسول الله تميل وليس هي لغة قريش، فقال: هي لغة الأخوال من بنى سعد. وذكر ابن الجزرى أن الإمالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر. ونقل السيوطى فى الهمع أن أكثر اليمن يميلون ألف حتى، لأن الإمالة غالبية فى ألسنتهم فى أكثر الكلام ، وقد ذكر سيبويه أن الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة^(١).

ومعنى هذا أن القبائل التى تميل هى تميم، وأسد، وقيس، وهوازن، وسعد بن بكر، وبكر بن وائل، والقبائل اليمنية فى مواضع، والحجازيون فى مواضع قليلة.

وتميم وأسد من ساكنى وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها، وهوازن بطن من قيس ، وينتسب بنو سعد بن بكر إلى هوازن، وبنو بكر بن وائل فى جنوب العراق.

وعليه فيمكن أن تنسب الإمالة إلى القبائل البدوية فى وسط شبه الجزيرة وشرقيها والفتح إلى غربيها.

ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية كانوا يميلون فى كلامهم إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات، يقول ابن الجزرى: وأما فائدة الإمالة فهى سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع.

أما لهجات العرب فى إمالة الكسر نحو الضم التى توجد فى الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفا فى الماضى إذا بنى للمجهول فهى ثلاث لهجات:

(١) انظر: الكتاب : ١٢٠/٤.

(١) إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء فى لهجة قریش ومجاورهم من بنى كنانة.

(٢) إمالة الكسر نحو الضم وهى لهجة كثير من قبس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد .

(٣) إخلاص الضم وهى لهجة هذيل.

ومعنى ذلك أن إخلاص الكسر عند قریش ومجاورهم من بنى كنانة يناسب ما يذهبون إليه من الفتح، والقبائل التى تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هى نفسها القبائل التى اشتهرت بالإمالة، وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وقبيلة عقيل التى ذكرت هنا ولم تذكر ضمن القبائل المييلة كانت من قبائل المنطقة الشرقية أيضا، فقد كانت تسكن البحرين.

وإذا كانت هذيل قد اختلفت مع بيتها الحجازية هنا، فقد اختلفت معها أيضا فى إدغامها ألف المقصور فى ياء المتكلم عند إضافته إليها^(١).

وجود الإمالة عند أهل البادية وعند أهل اليمن وبعض الحجازيين ووجود الأصوات الممالة أيضا فى اللغات السامية يؤكد أصالة الإمالة وأنها كانت من الأصول الأولى فى اللغات السامية^(٢).

(٣) الفك والإدغام

الإدغام : الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل^(٣).

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٣٩ وما بعدها بتصرف .

(٢) اللهجات العربية : د. إبراهيم أبوسكين : ص ٧٤.

(٣) حاشية الصبان : ٣٤٥/٤ وحاشية الخضرى : ٢١٠/٢.

وقيل: هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا^(١).

وهو نوع من تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، ويطلق المحدثون على هذه الظاهرة «المائلة»^(٢).

وتحدث هذه الظاهرة كثيرا فى البيئات البدائية حيث السرعة فى نطق الكلمات ومزج بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتى من تحقيق أو تجويد فى المنطق، ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفى القبائل الرحل التى لاتكاد تستقر على حال، وعلى هذا فتنسب هذه الظاهرة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، ومنها تميم وأسد وطى وبكر بن وائل وتغلب وعبد القيس.

أما الإظهار فينسب إلى البيئة الحجازية، وهى بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيا، فيها يميل الناس إلى التأنى فى النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها، وعليه فالقبائل التى آثرت الإظهار هى: قريش وثقيف وكنانة والأنصار وهذيل^(٣).

ولذا فقد انقسمت القبائل العربية إلى طائفتين، الأولى تؤثر الإدغام، والثانية تؤثر الإظهار^(٤).

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (مطبعة مصطفى محمد بمصر) : ٢٧٤/٢.

(٢) فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص ٧٠.

(٣) أثر عن هذيل إدغام ألف المقصور فى ياء المتكلم وخالفت بيئتها الحجازية فى ذلك، فلعلها اقتصرت على هذه فقط، واللهجات لاتعرف الاطراد .

(٤) انظر : فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص ٧٠ وما بعدها.

وهاك بعض أمثلة هذه الظاهرة:

- (١) الفعل المضعف فى حالة الجزم أو سكون اللام فيه لهجات كثيرة:
 (أ) الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال، وهى لهجة بنى أسد
 وغيرهم من بنى قميم ، فيقولون : رَدَّ يابنَى ، وإن تردَّ أَرَدَّ.
 (ب) الإدغام مع الكسر على كل حال، وهى لهجة كعب وغنى وغيره،
 فيقولون : رَدَّ.

ولهجة أهل الحجاز فك المثلين فى الفعل المضارع المضعف المجزوم
 بالسكون وفى فعل الأمر المبني عليه ، قال تعالى: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ
 مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ» (٢) ، وقال تعالى: «وَأَغْضَضْ مِنْ
 صَوْتِكَ» (٣) «(٤).

وعلى اللهجة الأولى قوله تعالى: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
 فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (٥) « بدال واحدة مفتوحة مشددة
 بالإدغام، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بدالين مكسورة فمجزومة على لغة
 أهل الحجاز (٦).

وعلى اللهجة الأولى أيضا قول الشاعر:

فَقُضَّ الطَّرَفَ إِنَّكَ مِنْ نُهْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَقْتَ وَلَا كِلَابًا

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٣١.

(٢) البقرة / ٢١٧.

(٣) لقمان / ١٩.

(٤) مميزات لغات العرب : ص ٣٥.

(٥) المائدة / ٥٤.

(٦) الإنحاف : ص ٢٠١.

(ج) إذا اتصل الفعل المضعف بواو جمع، نحو: رُدُّوا، أو ياء مخاطبة، نحو: رُدِّي ، أو نون توكيد، نحو: رُدِّنْ، اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب فى الإدغام.

(د) إذا أدغم فى الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصل، إلا أن الكسائى نسب إلى عبد القيس الإدغام مع همزة الوصل، نحو : ارْدَ واغضّ وافِرْ.

(هـ) المشهور فك الإدغام إذا اتصل الفعل المضعف بضمير الرفع البارز المتحرك، نحو: حللت وضللت، وشدنا ورددنا، وذلك لأنه يجب تسكين آخر الفعل إذا اتصل بضمير الرفع البارز المتحرك لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، ولا يمكن التسكين إلا بالفك.

ولهجة بكر بن وائل إبقاء الإدغام ، فيقولون: رَدْنَا، ومدْنَا ، وردَّتْ، أى رددنا، ومددنا، ورددت.

(٢) المشهور فى هلم أن تلزم حالة واحدة سواء أسندت لمذكر أو لمؤنث، وسواء أكان مفرداً أو مثنى أو جمعاً.

فيقال: هلم يازيد، أو يازيدان، أو يازيدون، وهى لهجة أهل الحجاز ، وبها جاء التنزيل العزيز ، قال تعالى: «هَلُمَّ شُهَدَاءُكُمْ» (١).

وقال تعالى: «هَلُمَّ إِلَيْنَا» (٢).

(١) الأنعام : ١٥٠.

(٢) الأحزاب / ١٨.

وهى حينئذ مدغمة دائما لثقلها بالتركيب، ومن ثم التزموا فى آخرها الفتح، وزعموا أنها فى الأصل مركبة من هاء التنبيه ولم، أى ضم نفسك إلينا.

ولهجة نجد من بنى تميم أنها تتغير بحسب من تسند إليه، وحينئذ يدخلها الفك، تقول على لهجتهم: هلم يازيد، وهلمى ياهند، وهلمما يازيدان أو ياهندان، وهلموا يارجال، وهلممن يانساء^(١).

الفصل السابع

المشترك اللفظي والتضاد والترادف

أولاً: المشترك اللفظي

تعريفه

هو كما عرفه أهل الأصول: «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»^(١).

وذلك نحو لفظ المولى، فإنه يطلق على المالك، والمعتق بكسر التاء، والمعتق بفتحها، والمولى، وابن العم، والجار، والحليف والصهر^(٢).

ولفظ الخال الذي يطلق على أخى الأم، والاختيال، والبعير الضخم، والجبل الضخم، والسحابة الضخمة، والنكتة السوداء فى البدن، وضرب من البرود، والثوب يُخيّله الرجل على الميت يستره به، واللواء الذى يعقد للأمير^(٣).

ولفظ العين الذى يطلق على الذهب، وعين الماء، وكثرة المطر، والنقد، ونفس الشئ، والعين التى يبصر بها^(٤)، وعين الجيش الذى ينظر لهم (الجاسوس)، وغير ذلك^(٥).

(١) المزهر: ٣٦٩/١.

(٢) المنجد فى اللغة لكراع النمل: ص ٣٣٤.

(٣) نفسه: ص ١٨٣، ١٨٤.

(٤) الأجناس من كلام العرب لأبى عبيد القاسم بن سلام بتصحيح امتياز على

عرشى (ط). المطبعة القيمة بالهند ط ١ سنة ١٩٣٨ م): ص ٨.

(٥) انظر المزهر: ٣٧٣/١ ففيه معان أخرى للعين.

ولفظ الهلال الذى يطلق على هلال السماء ، والغبار ، والحجارة
المرصوفة^(١) بعضها إلى بعض ، وبقية الماء فى الحوض ، والحية ، وأول
المطر ، وواحد الأهلة وهى الحدائد التى تضم ما بين قبائل الرحل^(٢) .
ولفظ الأرض الذى يطلق على الأرض المعروفة ، وقوائم الدابة ،
والزكام ، والرَّعْدَة^(٣) .

وقد أنشد للخليل ثلاث أبيات على قافية واحدة يستوى لفظها
ويختلف معناها ، هى :

يا وَيْحَ قلبى من دواعى الهوى إذ رحَلَ الجيرانُ عند الغُروبِ
أَتَبِعْتُهُمْ طَرَفِي وقد أَزْمَعُوا ودمعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الغُروبِ
كانوا وفيهم طَفْلَةٌ حَرَّة تفتَرّ عن مثل أقامى الغُروبِ
فالغُروب الأول: غروب الشمس ، والثانى جمع غَرَبَ : وهو الدلو
العظيمة المملوءة ، والثالث جمع غَرَبَ : وهى الوهاد المنخفضة^(٤) .

عوامل نشأته

نشأ المشترك فى اللغة العربية من عوامل كثيرة ، منها :

-
- (١) المرصوفة: المضمومة. (المصباح : وصف).
 - (٢) المنجد فى اللغة : ص ١٠٤ . وقبائل الرحل : أنحاؤه (جوانبه) المشعوب (المضموم) بعضها إلى بعض . (اللسان : قبل).
 - (٣) المنجد فى اللغة : ص ١٠٧ .
 - (٤) الزهر : ٣٧٦/١ .

١) اختلاف اللهجات العربية

لقد أخذت العربية كما هو معلوم عن قبائل العرب المنتشرين في شبه الجزيرة العربية ، واختلاف القبائل واختلاف البيئات أدى إلى وجود بعض أمثلة المشترك التي جاءها الاشتراك من تعدد اللهجات وتداخلها ، ولذا يقول أبو على الفارسي: «وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، لكنه من لغات تداخلت، أو تكون كل لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب حتى تصبح بمنزلة الأصل^(١)».

وجامعو المعجمات حين قاموا بجمعها ضموا تلك المعاني المتعددة للفظ الواحد دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بنسبة كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستعمله^(٢).

ومن القليل الذي روى لنا منسوبا إلى قبيلته لفظ (الهَجْرَس)، فهو القرد عند أهل الحجاز والثعلب عند تميم^(٣)، ولفظ (الآلَفَت) فهو في كلام تميم الأعسر وفي كلام قيس الأحق^(٤). وفي كتاب العين للخليل بن أحمد «الجُنَيْحُ: الضخم بلغة مضر، النون قبل الباء».

(١) المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات لأبي على الفارسي تحقيق: صلاح الدين

السكاوي (مطبعة العاني ببغداد) : ص ٥٣٤.

(٢) انظر : فقه اللغة د. وافي : ص ١٩٢.

(٣) اللسان : (هجرس: ص ٤٦٢١) والمزهر : ١/ ٣٨١.

(٤) اللسان : (لفت : ص ٤٠٥٢) والمزهر : ١/ ٣٨١.

والجُنُبُ: الخابية الصغيرة بلغة أهل السواد. والجُنُبُ: القملة
الضخمة بلغة أهل اليمن»^(١).

(٢) الاستعمال المجازي

قد يستعمل اللفظ في معنى مجازي ويشتهر استعماله فيه
ويكثر ويغلب حتى يصير بمنزلة الأصل كما ذكر أبو على الفارسي فيما
نقلناه عنه آنفاً ، وذلك كالحوت لنوع من السمك الذي قد استعير لبرج
من بروج السماء وأصبح هذا الاستعمال مشتهراً حتى ظنه الناس أحد
الحقائق ، وما زال كذلك حتى عد من الحقائق المؤكدة^(٢).

(٣) التطور الصوتي

قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو
الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتي ، فيصبح هذا اللفظ متحداً مع لفظ
آخر يختلف عنه في مدلوله^(٣).

ومثال ذلك ماورد في المعاجم من أن الفروة جلدة الرأس ، والغنى ،
وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو الثروة ، فأبدلت الثاء فاء على طريقة
العربية فى مثل: جَدَثَ وَجَدَفَ ، وَحْثَالَةٌ وَحُفَالَةٌ^(٤) وما أشبه ذلك^(٥).

(١) العين : ٣٢٨/٤ .

(٢) اللهجات العربية : د. نجما : ص ١٠٨ .

(٣) فقه اللغة : د. وافي : ص ١٩٢ .

(٤) الجَدَثُ والجَدَفُ: القبر ، والحْثَالَةُ والحَفَالَةُ : الردئ من كل شئ. (اللسان : جدف - حفل).

(٥) فصول فى فقه العربية : د. رمضان عبد التواب (نشر دار مكتبة التراث
بالقاهرة ١٩٧٧ ط ١) : ص ٢٩٢ .

(٤) اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة

اقتراض الألفاظ شائع بين اللغات ، والعربية اقتضت من اللغات الأخرى بعض الألفاظ، وقد تشبه اللفظة المقترضة في لفظها كلمة عربية لكنها ذات دلالة مختلفة ، فيؤدى ذلك إلى وجود بعض أمثلة المشترك، ومثال ذلك لفظة (السور) التى تطلق كما فى المعاجم على حائط المدينة وعلى الضيافة، فالمعنى الأول عربى، أما الثانى فهو لكلمة فارسية شرفها النبى صلى الله عليه وسلم كما قال صاحب القاموس حين نطق بها فى قوله صلى الله عليه وسلم: «يأهل الخندق قوموا فقد صنع جابر سورا». قال أبو العباس ثعلب: إنما يراد من هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية. وصنع سورا، أى طعاما دعا إليه الناس^(١).

آراء العلماء فيه

المشترك اللفظى جاء على خلاف الأصل، إذا الأصل دلالة اللفظ الواحد على معنى واحد، ولذا يقول أبو على الفارسى: «اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذى يجب أن يكون عليه الألفاظ، لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر ، فتفصل المعانى بألفاظها ولا تلتبس^(٢).

ولأنه جاء على خلاف الأصل فقد اختلف آراء العلماء القدامى فيه، وانقسموا إلى فريقين :

(١) نفسه : ص ٢٩٠ ، ٢٩١ بتصرف .

(٢) المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى ص ٣٣.

(١) الفريق الأول أنكر وجوده فى اللغة ، وراح يؤول الوارد منه تأويلا يخرج منه هذا الباب ، فيجعل الألفاظ التى تدل على ذلك من باب الحقيقة والمجاز ، وحبته أن اللغة موضوعة للإبانة وأن الاشتراك فيه إبهام ولبس وتعمية وتغطية ، ومثل ذلك يتزه عنه كلام العقلاء ، وعلى رأس هذا الفريق ابن درستويه (١) .

(٢) الفريق الثانى يثبتته ويعترف به لكثرة وروده فى الأساليب العربية ، وضرب له عدداً كبيراً من الأمثلة ، ومن هؤلاء الخليل ، وسيبويه ، والأصمعى ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، وابن فارس ، والمبرد ، والشعالبي .

ويرى هذا الفريق أن المشترك لا يؤدى إلى الإبهام لوجود القرائن التى تشعر السامع بالمراد وتصرفه عن اللبس والإبهام ، فإذا قيل مثلاً : خالى ذواجه بين قومه ، عرف أن المقصود بالخال فى هذا القول أخو الأم دون لبس أو مشقة .

والفريقان قد تنكبا جادة الحق فيما ذهباً إليه ، إذ من التعسف محاولة إنكار المشترك وتأويل جميع أمثله تأويلا يخرجها من هذا الباب كما ذهب إلى ذلك الفريق الأول ، وذلك أنه فى بعض الأمثلة لا توجد بين المعاني التى يطلق عليها اللفظ الواحد أية رابطة واضحة تسوغ هذا التأويل ، ولذا يتعذر فى كثير من الأحيان صرفها إلى الحقيقة والمجاز . ولم يكثر ورود المشترك فى اللغة على الصورة التى ذهب إليها الفريق الثانى ، وذلك أن كثيراً من الأمثلة التى ظن هذا الفريق أنها من

(١) هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه الفارسى النحوى المتوفى سنة

٣٤٧هـ . من مصنفاته : شرح الفصيح ، والأضداد . (هدية العارفين :

١/٤٤٦) .

قبيل المشترك يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها من هذا الباب، فمن هذه الأمثلة ألفاظ نقلت عن معناها الأصلية إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما وكثر استخدامها في هذه المعاني فلم يلاحظ فيها وجه المجاز، وأصبح إطلاقها عليها في قوة استخدام الشيء في حقيقته، فعدت من المشترك وهي ليست منه^(١).

وقد لوحظ أن الفريق الذي نظر إلى أمثلة المشترك على أنها كلها من الحقيقة والمجاز نظر إليها نظرة تاريخية، أما الفريق الآخر فقد نظر إليها نظرة تزامنية، إذ بحث في الكلمات ومعانيها في عصر خاص^(٢). وعلى أية حال فالمشترك اللفظي حقيقة واقعة في اللغة ولا يمكن إنكاره، ولكنه ليس بالكثرة التي ذهب إليها الفريق الثاني.

ثانياً: التضاد

تعريفه

هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين، كالسُدفة للظلمة والضوء، والناهل للعطشان والريان، والجتون للأبيض والأسود، والجلل للعظيم والحقير، والسليم للسالم والملدوغ، والصريم لليل والنهار، والصارخ للمغيث والمستغيث.

وهو نوع من المشترك اللفظي.

(١) انظر: فقه اللغة : د. وافي : ص ١٨٩ ، واللهجات العربية : د. نجما : ص ١٠٩ .

(٢) في اللهجات العربية : د. أنيس : ص ١٩٣ .

آراء العلماء فيه

اختلف آراء العلماء فى وقوعه فى اللغة بين ناف له ومثبت.

أولاً: النافون له

ذهب هؤلاء إلى إنكار وقوعه فى اللغة ، وقالوا كما ذكر ابن الدهان^(١) فى مقدمة كتابه الأضداد فى اللغة: « ليس من الحكمة أن تقع الكلمة على الشئ وضده لما فيه من اللبس على السامع ، والحكمة تقتضى غير ذلك »^(٢) . وأولوا الأمثلة التى وردت له تأويلاً يخرجها من بابيه ، وفى مقدمة هؤلاء ابن درستويه الذى ألف كتاباً فى ذلك سماه « إبطال الأضداد » ، فى الزهر : « قال ابن درستويه فى شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل ، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً ، وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا إبطال الأضداد »^(٣) .

ثانياً: المثبتون له

ذهب هؤلاء إلى إثبات وقوعه فى اللغة والقول بكثرتة فيها ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد الأنصارى ،

(١) هو سعيد بن المبارك بن على البغدادى الأديب النحوى المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ . من مصنفاته الأضداد فى اللغة (هدية العارفين: ١/ ٣٩١) .

(٢) الأضداد فى اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - منشورات مكتبة النهضة ببغداد): ص ٩٢ .

(٣) الزهر: ٣٩٦/١ .

والأصمعى، وقطرب ، وابن دريد، والمبرد، وأبو الطيب اللغوى، وأبو على الفارسى، وابن فارس. والشعالى، وعبد الله التوزى، وابن سيده، وابن الدهان، وأبو البركات بن الأنبارى، والصفانى، والسيوطى، ول بعضهم فيه مؤلفات مستقلة من أشهرها كتاب الأضداد لابن الأنبارى الذى أحصى فيه كثيرا من أمثله^(١).

يقول أبو على الفارسى وهو أحد المثبتين للأضداد فى اللغة: «وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشئ وضده.

والقول فى هذا أنه لا يخلو فى إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من جهة السماع والقياس، فلا يجوز أن تقوم له حجة ولا تثبت له دلالة من جهة السماع ، بل الحجة من هذه الجهة عليه ، لأن أهل هذه اللغة كأبى زيد، وأبى عبيدة، والأصمعى ، ومن بعدهم، قد حكوا ذلك وصنفت فيه الكتب ، وذكروه فى كتبهم مجتمعا ومتفرقا ، فالحجة من هذه الجهة عليه لا له.

فإن قال: الحجة تقوم من الجهة الأخرى ، وهى أن الضد خلاف ضده، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعا ولم يكن لكل واحد من الضدين لفظ يتميز به من ضده ويتخلص به من خلاقه أشكل وألبس، فعلم الضد شكلا والشكل ضدا والخلاف وفاقا ، وهذا نهاية الإلباس وغاية الفساد.

قيل له : هل يجوز عندك أن تحيىء لفظتان فى اللغة متفتتان لمعنيين مختلفين؟

(١) انظر : الزهر : ٣٩٧/١ و فقه اللغة للدكتور وافى : ص ١٩٣.

فلا يخلو فى ذلك من أن يجيزه أو يمنع، فإن منعه وأباه صار إلى رد ما يعلم وجوده، وقبول العلماء له ، ومنع ماثبت جوازه وثبتت عليه هذه الألفاظ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر نحو : وَجَدْتُ الذى يراد به العلم^(١)، والوجدان^(٢)، والغضب^(٣)، وجلست الذى هو خلاف قمت، وجلست الذى هو بمعنى أتيت نجدا ، ونجد يقال لها جَلَسَ، فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشئ وخلافه، وإذا جاز وقوعها للشئ وضده ، إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضدا^(٤) .

أما قول النافين بأن التضاد يزدى إلى اللبس على السامع فقد ذكر فى رده « أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين ، لأنها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، فلا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خلا الموتَ جَلَسَ

والفتى يسعى ويُلهيه الأمل

(١) مثل : وجدتُ فلانا كريما ، أى علمت .

(٢) مثل : وجدتُ شيئا .

(٣) مثل : وجدتُ على فلان .

(٤) المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى ص ٥٣٤ .

فدل ماتقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه كل شئ ما خلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم»^(١).
وكلا الفريقين قد غالى فى رأيه، وأسرف فيما ذهب إليه ، فمن التعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثله جميعاً تأويلاً يخرجها من بابه، فبعض أمثله لا تحتل التأويل، ولم يكثر وروده فى اللغة على الصورة التى ذهب إليها المثبتون له ، فكثير من أمثله يمكن تأويلها على وجه يخرجها من بابه.

ففى بعض الأمثلة استعمل اللفظ فى ضد ماوضع له للتفاضل كالمفازة للمكان الذى تغلب فيه الهلكة ، فقد سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة، وكالسليم للملدوغ، وبعضها استعمل فى ضده للتهكم، أو اتقاء التلطف بما يكره التلطف به، أو بما يمجىه الذوق، أو بما يؤلم المخاطب، كإطلاق العاقل على المجنون أو الأحمق ، والأبيض على الأسود، والبصير على الأعمى^(٢) ، وقد يجىء التضاد فى الظاهر من انتقال اللفظ من معناه الذى وضع له إلى معنى آخر مجازى لعلاقة ما ، كإطلاق الكأس على القدر والشراب، وقد يجىء التضاد فى الظاهر أيضاً من دلالة الكلمة فى أصل وضعها على معنى عام يشترك فيه الضدان فتصلح لكل منهما لذلك المعنى الجامع، كالصارخ فى إطلاقه

(١) الزهر: ٣٩٧/١، ٣٩٨.

(٢) فى المصباح المنير (خلف ص ١٧٩): «يحكى أن بعض الملوك مر بحائط فرأى شجر الخلاف، فقال لوزيره: ما هذا الشجر؟ فكره الوزير أن يقول شجر الخلاف، لنفور النفس عن لفظه، فسماه باسم ضده ، فقال : شجر الوفاق، فأعظمه الملك لنباهته».

على المغيث والمستغيث، لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فمعنى اللفظ متحقق فيهما ، وقد يكون سبب التضاد عوارض تصريفية كمختار لاسم الفاعل واسم المفعول، فالتضاد واقع فى اللغة ولكنه قليل^(١).

عوامل نشأته

ثمة عوامل أدت إلى وجود التضاد فى اللغة، منها :

(١) اختلاف اللهجات العربية

لقد أدى اختلاف القبائل واختلاف البيئات فى شبه الجزيرة العربية إلى وجود بعض أمثله ، ولذا يقول ابن الدهان فى مقدمة كتابه الأضداد فى اللغة: «وأقرب ما يقال أن العرب شعوب وقبائل ويطون وأفخاذ وعماثر تتنوع، والعربية إنما هى مواضعة، فوضع بعضهم الجلل للشئ الحقيقير ، ووضع بعضهم الجلل للشئ العظيم ، ونقلت النقلة ذلك عنهم»^(٢) وقال بعضهم : «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، فالجئون الأبيض فى لغة حى من العرب وأنجون الأسود فى لغة حى آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر»^(٣).

وقد نسبت إلى تميم استعمال الشُدفة بمعنى الظلمة ، ونسب لقيس استعمالها بمعنى الضوء^(٤).

(١) انظر فقه اللغة : د. وائى : ص ١٩٤ وما بعدها.

(٢) الأضداد فى اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات) : ٩٢ .

(٣) الزهر : ٤٠١/١ .

(٤) نفسه : ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) الاستعمال المجازى

للاستعمال المجازى دوره فى إيجاد بعض أمثلة التضاد، فقد يكثر ويغلب استعمال اللفظ فى معنى مجازى حتى يصبح فى قوة استخدام اللفظ فى حقيقته، كإطلاق لفظ الأمة على الفرد.

(٣) التطور الصوتى

قد يلحق الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقاً لقوانين التطور الصوتى فيصبح متحداً مع لفظ آخر يدل على ما يقابل معناه^(١). ومن أمثلة ذلك قول بنى عقيل: لملت الكتاب، أى: كتبته، وقول سائر قيس: لملت الكتاب، أى: محوته، هكذا يبدو التضاد فى الفعل (لحق) غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلاً آخر بمعنى الكتابة هو (نمق) عرفنا أن بنى عقيل قد تطور هذا الفعل الأخير فى نطقها، فأبدلت النون لاما. والنون واللام من الأصوات المتوسطة فى العربية، تلك الأصوات التى يحدث فيها الإبدال كثيراً، وبذلك صار الفعل (لحق) فتطابق مع نظيره بمعنى محا، وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق، وقد روى عن أعرابى أنه قال عن كتاب: لملته بعد ما نمقته، أى: محوته بعد أن سطرته^(٢).

(١) فقه اللغة: د. وافي: ص ١٩٨.

(٢) فصول فى فقه العربية: ص ٣٠٧.

ثالثاً: الترادف

تعريفه

هو كما عرفه الإمام فخر الدين الرازى: الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد.

قال: واحترزنا بالإنفراد عن الاسم والحد^(١) ، فليس مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلا على شئ واحد لكن باعتبارين: أحدهما على الذات ، والآخر على الصفة. والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، وفى التوكيد يفيد الثانى تقوية الأول. والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئاً، كقولنا: عشتان نطشان^(٢).

آراء العلماء فيه

ظاهرة الترادف فى اللغة حظيت باهتمام القدماء من العلماء ، فمن جامعى اللغة من كان حريصاً على تلقى أمثلة لهذه الظاهرة من أفواه العرب وتسجيلها ، كأبى زيد الأنصارى، فقد «حكى أبو حاتم السجستانى قال: حدثنى أبو زيد قال: قلت لأعرابى: ما المتكأكى؟ قال: المتآزف قلت: وما المتآزف؟ قال: المحببطين، قلت: وما المحببطين؟ قال: أنت أحق.

ومضى وتركنى.

(١) أى الاسم وتعريفه .

(٢) المزهري: ٤٠٢/١ ، ٤٠٣ .

قال السيرافى (١) وذلك كله القصير (٢).

وقد أفرد لها جماعة بالتأليف كابن خالويه الذى ألف كتابا فى أسماء الأسد، وكتابا فى أسماء الحية (٣)، والرمثانى (٤) الذى ألف كتابا سماه «الألفاظ المترادفة»، وعبد الرحمن الهمذانى الذى ألف «الألفاظ الكتابية»، والفيروزابادى صاحب القاموس الذى ألف كتابا سماه «الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف» (٥).

ولكن كلمة العلماء لم تكن واحدة فى وقوع هذه الظاهرة فى اللغة، فمنهم من أنكر وقوعها فى اللغة ومنهم من أثبتها.

أولاً : المنكرون

يرى هؤلاء أن أمثلة هذه الظاهرة ليست متحدة المعنى وإنما بينها فروق فيه ، فهى متباينة لامتفقة، ومن هؤلاء : ابن الأعرابى الذى يقول: «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد فى كل واحد منهما

(١) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى النحوى المتوفى سنة ٣٦٨ هـ.

الأعلام (١/٢٢٨).

(٢) نزهة الألباء : ص ١٢٦.

(٣) المزهرة : ٤٠٧/١.

(٤) هو على بن عيسى بن على الرمانى الأديب النحوى البغدادى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (هدية العارفين : ٦٨٣/١).

(٥) فى القاموس (س ي ف) قال الفيروزابادى: «السيف م (أى معروف)، وأسماءه تنيف على ألف، وذكرتها فى الروض المسلوف ج (أى الجمع): أسياف، وسيوف، وأسيف، ومسيقة كمسيخة».

معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»^(١).

وابن درستويه الذى يقول: «لا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد ، إلا أن يجىء أحدهما فى لغة قوم والآخر فى لغة غيرهم ، كما يجىء فى لغة العرب والعجم أو فى لغة رومية ولغة هندية».

وثعلب وابن فارس ، يقول ابن فارس: «ويسمى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو : السيف ، والمهند ، والحسام ، والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها معنى الأخرى ، وقد خالف فى ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد وذلك قولنا سيف وعضب وحسام.

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر ، قالوا: وكذلك الأفعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجع ، قالوا : ففى قعد معنى ليس فى جلس^(٢) ، وكذلك القول فيما سواه ، وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب^(٣).

ومن هؤلاء أيضا أبو هلال العسكري الذى ألف كتابا فى الفروق اللغوية ، والثعالبى فى كتابه فقه اللغة.

(١) المزهر : ٣٩٩/١ ، ٤٠٠ .

(٢) القعود عن قيام والجلوس عن حالة دون ذلك كالاضطجاع .

(٣) الصحابى لابن فارس : ص ١١٤ ، ١١٥ والمزهر : ٤٠٤/١ .

ثانياً: المثبتون

هؤلاء يرون وقوع المترادف فى اللغة، ولا ينظرون إلى أمثلته نظرة الفريق السابق، فهم لا يحاولون تأويل تلك الأمثلة أو تخريجها، ولا يرون تبايناً بينها فى المعنى، ومن هؤلاء سيبويه فقد قال فى كتابه: « اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشبه هذا كثير» (١).

والذى يعنينا هنا قوله: «اختلاف اللفظين والمعنى واحد». وقد تابعه المبرد فى ذلك (٢) وغيره.

ومن هؤلاء أيضاً الأصمعى، فقد روى «أن الرشيد سأل عن شعر لابن حزام العكلى، ففسره، فقال: يا أصمعى، إن الغريب عندك لغريب، قال: يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً؟» (٣).

ومنهم أبو العلاء المعرى، ففى معجم الأدباء أن أبا العلاء المعرى دخل على المرتضى فعشّر برجل، فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال المعرى: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً (٤).

(١) الكتاب: ٢٤/١.

(٢) انظر المزهري: ٣٨٨/١.

(٣) الصاحبى: ص ٢١ والمزهري: ٣٢٥/١.

(٤) معجم الأدباء: ١٢٣/٣.

ومنهم حمزة الأصفهاني الذي جمع من أسماء الدواهي ما يزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهي من إحدى الدواهي^(١) . وأشهر هؤلاء ابن خالويه ، وقد مر آنفا أن له كتابين أحدهما في أسماء الأسد والآخر في أسماء الحية ، وقد «حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي على الفارسي قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف حمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحداً ، وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا؟» .

فقال أبو على: هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة^(٢) .

ويكاد يجمع الباحثون على أن أبا على الفارسي من منكري الترادف لهذه الحكاية ، بل جعلوه من أشهر القائلين بإنكاره ، ولكن هذا ليس بصحيح ، فأبو على من القائلين بوقوع الترادف في اللغة وليس من منكريه ، وقد ظهر لنا هذا مما جاء في كتابه «المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات» ، يقول أبو على في هذا الكتاب: «اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذي يجب أن يكون عليه الألفاظ ، لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعاني بألفاظها ولا تلتبس» .

واختلاف اللفظين والمعنى واحد حسن بعد الحاجة إلى التوسع بالألفاظ ، وبين أن هذا القسم لو لم يوجد لم يوجد من الاتساع ما وجد بوجوده ، ألا ترى أنه إذا سجع في خطبة أو قفى في شعر ، فركب السين ،

(١) انظر فقه اللغة للشعالبي : ص ٣٠٩ .

(٢) المزهر : ٤٠٥/١ .

فقال: جلس، فجاء به مع مايشاكله، ولو لم يقل فى هذا المعنى إلا قعد ضاق المذهب فيه... وأيضاً فإذا أراد التأكيد قال: قعد وجلس، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها، ألا ترى أن فى التنزيل (وَعَرَابِيْبُ سُوْدٍ) ^(١) والغرابيب هى السود عند أهل اللغة فحسن التكرير لاختلاف اللفظين، ولو كان غرابيب غرابيب لم يكن سهلاً ^(٢).

أما حكايته مع ابن خالويه فى مجلس سيف الدولة فيمكن حملها على أن أبا على أراد أن يبين لابن خالويه أنه بالغ وأسرف فيما ذهب إليه، فليس الأمر بهذه الصورة المبالغ فيها، وأن ما ذكره صفات للسيف غلب إطلاقها عليه، وليست من أسمائه فى أصل الوضع.

فالمهند: السيف المصنوع فى الهند، والصارم: القاطع، ففى اللسان: «يَقَالُ: سَيْفٌ مُهَنْدٌ وَهِنْدِيٌّ وَهِنْدُوَانِيٌّ، إِذَا عُمِلَ بِلَادَ الْهِنْدِ وَأَحْكَمَ عَمَلُهُ. وَالْمُهَنْدُ: السَّيْفُ الْمَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ» ^(٣).

وفيه أيضاً: «سَيْفٌ صَارِمٌ وَصَرُومٌ بَيْنَ الصَّرَامَةِ وَالصُّرُومَةِ: قَاطِعٌ لَا يَنْثَنِي. وَالصَّارِمُ: السَّيْفُ الْقَاطِعُ» ^(٤).

فهى فى الأصل صفات وإن كان غلب وكثر فيما بعد إطلاقها على المسمى حتى أصبحت فى قوة إطلاق الاسم عليه، وقد نظر إليها ابن خالويه من هذه الجهة، فثمة اختلاف فى وجهات النظر بين أبى على

(١) فاطر/ ٢٧.

(٢) المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات: ص ٥٣٣، ٥٣٤.

(٣) اللسان: (هند) ص ٤٧٠٩.

(٤) نفسه: (صرم) ص ٢٤٣٨.

وابن خالويه، فأبو على نظر إلى أصل الوضع فعدّها من الصفات، وابن خالويه نظر إلى ماصارت إليه وأصبحت تدل عليه عند إطلاقها فعدّها من الأسماء^(١).

أما حجة القائلين بالترادف فقد ذكرها ابن فارس ورد عليها ، وسنذكر لك قوله حتى يتبين لك وجهة الفريقين ، يقول ابن فارس: « واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول في «لارب فيه» : «لاشك فيه» ، فلو كان «الرب» غير «الشك» لكانت العبارة عن معنى الرب بالشك خطأ ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا : وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة ، كقولهم:

* وَهَذَا أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

قالوا: فالنأى هو البعد.

ونحن نقول: إن في «قعد» معنى ليس في «جلس»، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد، وأخذ المقيم والمقعد، وقعدت المرأة عن الحيض، ونقول لناس من الخوارج : قَعَدُوْا، ثم نقول: كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ، لأن الجلوس: المرتفع، فالجلوس ارتفاع عما هو دونه.

(١) لذا قال الفيروزبادي في القاموس وقد مر بك: «السيف وأسماءه تنيف على

ألف، وذكرتها في الروض المسلوف ج أسياف، وسيوف، وأسيف، ومسيفة كمشيخة».

وعلى هذا يجرى الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء، فإننا نقول: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان فليزمننا ما قالوه، وإنما نقول: إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى»^(١).

والحق أن الفريقين قد أسرفا في الرأي وبالغا في القول، فإنكار الترادف ومحاولة تأويل جميع أمثله وتصيد الفروق في المعانى فيه من التعسف ما فيه، فالعرب كانوا منتشرين في شبه الجزيرة العربية وقد تضع قبيلة اسما لشيء، وتضع قبيلة أخرى اسما للشيء نفسه، فيختلف الاسمان ويتحد المسمى، وهكذا، ثم تتداخل اللغات بسبب الاختلاط فيأخذ هذا من لغة هذا وهذا من لغة هذا.

وما يؤيد ذلك ما جاء في صحيح البخارى في الحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتا، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المذبة»^(٢).

(١) الصحاح لابن فارس: ص ١١٥، ١١٦. وانظر الزهر: ٤٠٤/١، ٤٠٥.

(٢) صحيح البخارى (ط الشعب): ٤/١٩٨.

أما القول بكثرة المترادف فلا يخلو من مبالغة، لأن كثيراً من أمثله يمكن إخراجها من بابه على وجه من المجاز أو غيره ، ولذا فالرأى عندى أن المترادف أمر واقع فى اللغة ولكنه بالقدر الذى يتناسب مع وجوده فيها دون مبالغة أو غلو أو إسراف.

اسباب نشأة المترادف

من أسباب نشأته ما يلى :

- (١) اختلاف اللهجات العربية، وذلك بأن تضع قبيلة اسماً لشيء وتضع قبيلة أخرى اسماً للشيء نفسه «من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الوضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر»^(١) كما يقول أهل الأصول. ولذا يقول ابن جنى: «كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من ههنا ومن ههنا»^(٢). وقد مر آنفاً قول أبى هريرة رضى الله عنه الذى يؤيد ذلك ، وهو من دؤس^(٣).
- (٢) إطلاق صفات على شيء ما ، ثم تفقد هذه الصفات عنصر الوصفية مع مرور الزمن، وتصبح أسماء لا يلحظ الناطق باللغة ما كانت عليه أولاً، ولا سيما حين يراعى مفهومها فى عصر معين، كإطلاق الصارم أو المهند على السيف، فقد أصبح كل منهما يستعمل على

(١) المزهر: ٤٠٥/١ ، ٤٠٦.

(٢) الخصائص: ٣٧٤/١.

ألسنة الشعراء ولا يعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من السيف.

(٣) الاستعمال المجازى، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالاً مجازياً فى معنى من المعانى يطول العهد عليه فيصبح حقيقة ، ويكون لهذا المعنى الجديد الذى انتقل إليه اللفظ بالمجاز لفظ آخر يستعمل فيه استعمالاً حقيقياً، فتوجد كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية جنباً إلى جنب مع تلك التى أخذت معانيها عن طريق المجاز.

والمعانى الأصلية الحقيقية هى المعانى الحسية التى يتفرع عنها عادة عن طريق المجاز ما يشيع من معنويات.

(٤) استعارة بعض الكلمات من لغات أجنبية كان للعرب فى الجاهلية وصدر الإسلام اتصال واحتكاك بأهلها ، مثل الحرير والسندس والإستبرق ، والبحر واليم^(١).

شروط الترادف عند المحدثين

يجمع المحدثون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف فى أى لغة من لغات البشر، ولكنهم يشترطون شروطاً معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً هى :

(١) الاتفاق التام فى المعنى بين الكلمتين على الأقل فى ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئته، ويكتفى اللغوى الحديث بالفهم العادى لمتوسطى الناس، فإذا تبين أن العربى يقصد من لفظ شيئاً

(١) فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص ١٨٢ ، ١٨٣ بتصرف .

لايستفاد من الآخر حكم بعدم الترادف، كأن يظهر دليل قوى على أن العربى كان يفهم من كلمة جلس شيئا لا يستفيده من كلمة قعد.

(٢) الاتحاد فى البيئة اللغوية، ومعنى هذا أن تنتمى الكلمتان أو الكلمات إلى لهجة واحدة أو عدة لهجات بينها ترابط قوى، فيجب ألا يلتبس الترادف من لهجات العرب المتباينة، فالترادف بمعناه الدقيق أن يكون للرجل الواحد فى البيئة الواحدة الحرية فى استعمال كلمتين فأكثر فى معنى واحد، يختار هذه حيناً وتلك حيناً آخر، وفى كلتا الحالتين لا يشعر بفرق بينهما إلا بقدر مايسمح به مجال القول أو الأسلوب.

ولم يفتن المغالون فى الترادف إلى مثل هذا الشرط، بل عدوا كل اللهجات وحدة متماسكة، وعدوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة، وإنما البيئة الواحدة تتمثل فى اللغة النموذجية الأدبية أو فى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات.

(٣) الاتحاد فى العصر، فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها فى عهد خاص وزمن معين، ومعنى هذا أن يكون اللفظان المعبران عن معنى واحد قد ثبت وجودهما فى عصر واحد حتى يمكن أن يحكم بالترادف، فإذا بحث عن الترادف يجب ألا يلتبس فى شعر شاعر من الجاهليين ثم تقاس كلماته بكلمات وردت فى نقش قديم يرجع إلى العهد المسيحية مثلاً. وهذا ما جعل ابن خالويه وأمثاله يرون للسيف ونحوه أسماء عدة، فالتنبى حين استعمل الصارم والبتار والهندي واليماني للسيف لم يكن يعمد إلى كلمة الهندي وفى ذهنه صفات خاصة تتصل

ببيتة الهند التى صنع فيها ، ولم يكن يعتمد إلى كلمة الصارم
وفى ذهنه اعتبار آخر لا يراه فى كلمة أخرى كالبتار مثلاً ، وإنما
يذكر هذه الكلمات ويعنى بها السيف ليس غير .

(٤) ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر ، وذلك
كالجثث والجثفل بمعنى النمل ، فحين يقارن بين الكلمتين يلاحظ أن
إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلاً والأخرى تطور لها ، فهما فى
الحقيقة كلمة واحدة ، ولذا لا يعد مثل هذه الكلمات من الترادف .
هذه هى شروط الترادف عند المحدثين ، وإذا طبقت هذه الشروط
على اللغة العربية اتضح أن الترادف لا يكاد يوجد فى اللهجات العربية
القديمة ، وإنما يمكن أن يلتبس فى اللغة النموذجية الأدبية^(١) .

من فوائد الترادف

للترادف فوائد ، منها كما جاء فى المزمهر : « أن تكثر الوسائل - أى
الطرق - إلى الإخبار عما فى النفس ، فإنه ربما نسى (المتكلم) أحد
اللفظين أو عسر عليه النطق به ، وقد كان بعض الأذكىاء فى الزمن
السالف أثلج^(٢) ، فلم يحفظ عنه أن نطق بحرف الراء ، ولولا المترادفات

(١) فى اللهجات العربية: د. أنيس: ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ بتصرف .

(٢) هو أصل بن عطاء ، فإنه كان لا يحسن نطق الراء ، ولم تعرف لثفته إلا صغيراً
لإبداله كل لفظ فيه راء برديفه ، حكى أن بعض الناس أراد تعجيزه فدفن إليه
ورقة ليقرأها كتب فيها : « أمر أمير الأمراء أن تحفر بئر فى الصحراء ليشرب
منها الشارد والوارد » ، فقرأ : « حكم حاكم الحكام أن تبحث عين فى البادية
ليستقى منها الحادى والبادى » ، فعلم أن يمة لا يعبر ، وغوره لا يسبر .

(مميزات لغات العرب : ص ٤٢ ، ٤٣) .

تعينه على قصده لما قدر على ذلك. ومنها التوسع فى سلوك طرق
الفصحاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد
قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع
وغير ذلك من أصناف البديع...

قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحا للآخر الخفى
، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين»^(١).

تم الكتاب بتوفيق الله وعونه

وصلّى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

- ١- الإبدال لابن السكيت تحقيق د. حسين شرف ط الهيئة العامة
لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م.
- ٢- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء الدمياطى
تصحیح وتعليق على محمد الضباع طبع
ونشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى
بالقاهرة.
- ٣- الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى طبع ونشر مكتبة ومطبعة
مصطفى الحلبي الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ -
١٩٧٨م.
- ٤- الأجناس من كلام العرب لأبى عبيد القاسم بن سلام بتصحيح
امتياز على عرشى - ط المطبعة القيمة
بالهند - الطبعة الأولى ١٩٣٨م.
- ٥- الاحتجاج بالشعر فى اللغة للدكتور محمد حسن جبل - نشر دار
الفكر العربى بالقاهرة.
- ٦- الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى للدكتور /ج. هيوارث
دن نشر مكتبة الثقافة العربية.
- ٧- أساس البلاغة للزمخشري ط دار مطابع الشعب - القاهرة ١٩٦٠م.
- ٨- إصلاح المنطق لابن السكيت شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد
السلام هارون طبع ونشر دار المعارف بمصر
الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

٩- الأضداد فى اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - منشورات مكتبة النهضة ببغداد.

١٠- الأعلام لخير الدين الزركلى ط المطبعة العربية بالقاهرة ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م.

١١- الاقتراح للسيوطى نشر دار المعارف - حلب - سوريا.

١٢- الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

١٣- ألف باء ليوسف بن محمد البلوى - عالم الكتب ببيروت.

١٤- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبي - الطبعة الثانية.

١٥- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ط مطبعة دار إحياء الكتب العربية- الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٦- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ط المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٧هـ.

١٧- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى ط مطبعة الأخبار بمصر ١٣٢٩هـ-١٩١١م.

١٨- تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب ط دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.

- ١٩- تشيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر - نشر دار المعارف ط مطابع سجل العرب.
- ٢٠- التقريب للنوى ط مطبعة محمد علي صبيح بمصر ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
- ٢١- الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرين لعباس العقاد - ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٢٢- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ط دار المعارف - الطبعة الرابعة.
- ٢٣- جمهرة اللغة لابن دريد . نشر دار صادر بيروت (ط الحلبي بالقاهرة).
- ٢٤- حاشية الخضرى على ابن عقيل للشيخ محمد الخضرى ط عيسى الحلبي (دار إحياء الكتب العربية).
- ٢٥- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ط عيسى الحلبي (دار إحياء الكتب العربية).
- ٢٦- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد علي النجار- نشر وطبع دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية.
- ٢٧- دراسات في جغرافية العالم الإسلامي للدكتور محمود أبو العلا -نشر دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٥م - الطبعة الأولى.

٢٨- درة الغواص فى أوهام الخواص تحقيق محمد أبو الفضل ط دار
نهضة مصر ١٩٧٥م.

٢٩- سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط
مطبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الأولى
١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

٣٠- شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى تحقيق الدكتور
محمد رياض كريم (رسالة دكتوراه).

٣١- شرح شافية ابن الحاجب للرضى تحقيق محمد نور الحسن وآخرين
ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٥هـ -
١٩٧٥م.

٣٢- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام ومعه كتاب
منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب
تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ط
مطبعة السعادة بمصر - الطبعة السابعة
١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٣٣- شرح ابن عقيل على الألفية ط مطبعة دار إحياء الكتب العربية
بمصر.

٣٤- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ومعه كتاب سبيل الهدى
بتحقيق شرح قطر الندى تأليف محمد محيى
الدين عبد الحميد نشر المكتبة التجارية
الكبرى بمصر - الطبعة التاسعة.

٣٥- شرح الكافية للرضى - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة
الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار التراث العربى للطباعة - الطبعة الثالثة

١٩٧٧م.

٣٧- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين

الخفاجى بتصحيح محمد عبد المنعم خفاجى -

المطبعة المنيرية بالأزهر.

٣٨- الصحابى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر ط مطبعة عيسى

الحلبى بالقاهرة.

٣٩- صبح الأعشى للقلقشندي ط المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١هـ -

١٩١٣م.

٤٠- صحيح البخارى ط دار مطابع الشعب.

٤١- ضحى الإسلام لأحمد أمين - نشر مكتبة النهضة المصرية

١٩٧٤م - الطبعة الثامنة.

٤٢- طبقات الحفاظ للسيوطى تحقيق على محمد عمر نشر مكتبة وهبة

بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٣- طبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى تحقيق وتعليق

عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت

- الطبعة الأولى ١٩٧١م.

٤٤- طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى تحقيق محمد أبو

الفضل - ط دار المعارف - الطبعة الثانية.

٤٥- طلبية الطلبة لأبى حفص عمر بن محمد النسفى ط المطبعة

العامة ١٣١١هـ.

٤٦- الظواهر اللهجية فى شرح ابن عقيل للدكتور شعبان عبد العظيم- ط مطبعة حسان بالقاهرة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٤٧- العرب فى سوريا قبل الإسلام لرنيه ديو ترجمة عبد الحميد الدواخلى - نشر الدار القومية للطباعة والنشر.

٤٨- العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب ط مطابع سجل العرب ١٩٦٨ - الطبعة الأولى.

٤٩- علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة السابعة.

٥٠- العين للخليل بن أحمد تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي - منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية (١٩٨٠-١٩٨٥م) والجزء الأول منه بتحقيق د. عبد الله درويش ط مطبعة العاني ببغداد ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٥١- غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى - نشر ج. برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت ط ٣- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٢- الفائق فى غريب الحديث للزمخشري تحقيق محمد أبو الفضل وعلى محمد البجاوى ط عيسى الحلبي (دار إحياء الكتب العربية) الطبعة الثانية .

٥٣- فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب- نشر دار مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٧م - الطبعة الأولى.

٥٤- فعلت وأفعلت للزجاج بتعليق محمد عبد المنعم خفاجى منشور
مع فصيح ثعلب والشروح التى عليه ط
المطبعة النموذجية بالقاهرة - الطبعة الأولى
١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٥٥- فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى- دار نهضة مصر للطبع
والنشر بالقاهرة - الطبعة الثامنة.

٥٦- فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الشعالبى تحقيق مصطفى
السقا وآخرين ط مطبعة مصطفى الحلبي -
الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٥٧- الفهرست لابن النديم - نشر دار المعرفة للطباعة والنشر -
بيروت.

٥٨- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى تحقيق عبد
الرحمن اليمانى - دار الكتب العلمية -
بيروت.

٥٩- فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس - نشر مكتبة
الأنجلو المصرية - الطبعة الرابعة.

٦٠- القاموس المحيط للفيروزابادى ط مطبعة مصطفى الحلبي -
الطبعة الثانية ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

٦١- القياس فى اللغة العربية لمحمد الخضر حسين - المطبعة السلفية
بالقاهرة ١٣٥٣هـ.

٦٢- الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون - نشر الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٦٣- الكشف للزمخشري - دار الفكر للطباعة والنش - ط ١ -
١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٦٤- لحن العامة لأبى بكر الزبيدى تحقيق د. عبد العزيز مطر - دار
المعارف ١٩٨١م.

٦٥- لسان العرب لابن منظور تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ط دار
المعارف.

٦٦- اللغة العربية خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال ط
مطبعة الحضارة العربية ١٩٧٦م - الطبعة
الأولى.

٦٧- اللغة العربية عبر القرون للدكتور محمود حجازى ط مطابع دار
الكاتب العربى ١٩٦٨م.

٦٨- لهجات العرب لأحمد تيمور ط مطابع الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٩- اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أبو سكين ط مطبعة الفاروق
الحديثة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٠- اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ط مطبعة السعادة بمصر.

٧١- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي .
نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٧٢- المجاز بين اليمامة والحجاز لعبد الله بن محمد بن خميس
-منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة
والنشر بالرياض.

٧٣- مجالس ثعلب لأبى العباس ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام هارون
ط دار المعارف بمصر- الطبعة الثالثة.

- ٧٤- المختار من كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسى - اختيار محمد خالد الصحنى ط مطبعة الصاوى الحديثة بالقاهرة.
- ٧٥- مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه تحقيق ج. برجستراسر - نشر مكتبة المتنبى بالقاهرة.
- ٧٦- المخصص لابن سيده الأندلسى ط بولاق.
- ٧٧- المزهى فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبي (دار إحياء الكتب العربية).
- ٧٨- المسائل المشككة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى تحقيق صلاح الدين السنكاوى ط مطبعة العانى ببغداد.
- ٧٩- مستقبل اللغة العربية المشتركة للدكتور إبراهيم أنيس ط مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٦٠م.
- ٨٠- مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستى بتصحيح م. فلايشهر - درا الكتب العلمية - بيروت.
- ٨١- المصباح المنير للفيومى تحقيق د. عبد العظيم الشناوى ط دار المعارف بالقاهرة.
- ٨٢- معالم اللهجات العربية للدكتور عبد الحميد أبو سكين ط مطبعة الأمانة بالقاهرة.
- ٨٣- معانى الحروف للرمانى تحقيق د. عبد الفتاح شلبى - نشر دار نهضة مصر بالقاهرة ١٩٧٣م.

- ٨٤- معانى القرآن للفراء تحقيق محمد على النجار ط مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٩٦٦م.
- ٨٥- معجم الأدباء لياقوت الحموى - دار إحياء التراث العربى ببيروت - الطبعة الأخيرة.
- ٨٦- معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٢م - الطبعة الثالثة.
- ٨٧- مغنى اللبيب لابن هشام ط عيسى الحلبي (دار إحياء الكتب العربية).
- ٨٨- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى - نشر دار الغد العربى بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٣م-١٤١٣هـ.
- ٨٩- مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ط مطبعة السعادة بمصر ١٣٣٠هـ.
- ٩٠- منار السالك إلى أوضاع المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ط مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.
- ٩١- المنجد فى اللغة لأبى الحسن على بن الحسن الهنائى المشهور بكراع تحقيق د. أحمد مختار عمر وضاحى عبد الباقي ط مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ٩٢- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل - نشر دار نهضة مصر بالقاهرة.
- ٩٣- نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض لشهاب الدين الخفاجى - ط المطبعة العثمانية ١٣١٧هـ.

- ٩٤- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ط مطبعة مصطفى محمد
بمصر.
- ٩٥- نظريات فى اللغة للدكتور أنيس فريحة - دار الكتاب اللبنانى -
بيروت ١٩٧٣م - الطبعة الأولى.
- ٩٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوى
ومحمود الطناحى - نشر المكتبة الإسلامية -
الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- ٩٧- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادى ط استانبول ١٩٥١م-
منشورات مكتبة المثنى ببغداد .
- ٩٨- الوسيط فى الأدب العربى للشيخ أحمد السكندرى والشيخ
مصطفى العنانى ط مطبعة المعارف ١٩٢٨م-
الطبعة السابعة.
- ٩٩- وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محبى الدين عبد
الحميد ط مطبعة السعادة بالقاهرة - الطبعة
الأولى ١٩٤٨م.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
١١	الفصل الأول : شبه جزيرة العرب
١٢	موقعها
١٣	أقسامها
٢٢	الفصل الثانى : العرب
٢٥	طبقات العرب
٢٥	العرب البائدة وأشهر قبائلها
٢٨	العرب الباقية
٢٨	أ- العرب العاربة وأشهر قبائلها
٣٦	ب- العرب المستعربة وأشهر قبائلها
٤٣	الفصل الثالث : اللغة واللهجة
٤٣	أهمية دراسة اللهجات
٤٦	صعوبة البحث فى اللهجات العربية القديمة
٤٨	اللغة
٥١	اشتقاقها
٥٢	تعريفها
٥٤	اللهجة
٥٤	اشتقاقها

الصفحة	الموضوع
٥٥	تعريفها
٥٦	الصفات الصوتية التى تؤدى إلى اختلاف اللهجات
٥٧	العلاقة بين اللغة واللهجة
٥٩	التوزيع الجغرافى للغة واللهجة
٦٢	أسباب وجود اللهجات
٦٩	عوامل التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة
٧٧	وحدة النطق فى العالم العربى
٧٩	عناصر اختلاف النطق فى البلاد العربية ووسائل توحيده
٨٦	الفصل الرابع : اللغة العربية قبل الإسلام
٨٦	نشأة اللغة العربية
٨٦	العربية البائدة
٩٠	العربية الباقية
٩١	صراع لهجات العرب وعوامل تغلب لهجة قریش
٩٧	ما استفادته لهجة قریش من صراعتها مع اللهجات العربية
٩٩	رأى مردود
١٠٥	نظرة القدماء للهجات
١٠٨	الفصل الخامس : مقياس الفصاحة لدى العلماء
١٠٨	الاحتجاج بالقرآن الكريم
١٠٨	الاحتجاج بالشعر
١٠٩	الاحتجاج بشعر المولدين ورأى العلماء فى ذلك
١١٤	الاحتجاج بالحديث النبوى
١١٨	تقييد الاحتجاج اللغوى بالزمان والمكان ومناقشة ذلك

الصفحة	الموضوع
١٢١	الفصل السادس : مظاهر اختلاف اللهجات
١٢١	الإبدال وأقسامه
١٢٦	الإبدال فى الحروف
١٢٦	- العننة
١٣٠	- العجعة
١٣٣	- الكشكشة
١٣٥	- الكسكة
١٣٦	- الفحفحة
١٤٠	- الشنشنة
١٤٠	- الطمطمانية
١٤١	- الاستنطاء
١٤٢	- الوتم
١٤٣	الإبدال فى الحركات
١٤٣	- تلتلة بهراء
١٤٥	- الوكم
١٤٦	- الوهم
١٤٦	- فتح همزة إما
١٤٧	- كسر أول فعيل
١٤٨	- كسر ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم.
١٤٩	- الضميران هو وهى
١٥٠	- هاء التنبيه الداخلة على نعت أى فى النداء
١٥١	- ما كان اسما للفعل على وزن فعال

الموضوع	الصفحة
الاختلاف فى الإعراب	١٥١
- المثنى	١٥١
- إعمال ما عمل ليس	١٥٣
- خبر ليس المقترن بإلا	١٥٤
- نصب الخبر بعد إن النافية	١٥٥
- جر اسم لعل	١٥٦
- الجر بـ (متى)	١٥٦
- صرف ما لا ينصرف للوصفية وزيادة الألف والنون	١٥٧
- نصب تمييز كم الخبرية المفرد	١٥٧
- إعمال القول عمل ظن	١٥٨
الترودد بين الإعراب والبناء	١٥٨
- الذين	١٥٨
- أمس	١٥٩
- ما كان على فعال وهو علم مؤنث	١٦٠
- مع	١٦٠
الزيادة والنقصان	١٦١
- اللخلخانية	١٦١
- القطعة	١٦٢
- حذف نون من الجارة	١٦٢
- اللذان واللتان	١٦٣
- الإتيان باللام بعد اسم الإشارة	١٦٤
- إسناد الفعل إلى الظاهر المثنى والجمع	١٦٤

الصفحة	الموضوع
١٦٥	- إشباع حركتى الضميرين المتصلين التاء والكاف
١٦٥	- ماجاء على فعل وأفعل والمعنى واحد
١٦٧	الاختلاف فى هيئة النطق
١٦٨	- التفخيم والترقيق
١٦٩	- الفتح والإمالة
١٧١	- الفك والإدغام
١٧٦	الفصل السابع المشترك اللفظى والتضاد والترادف
١٧٦	المشترك اللفظى
١٧٦	تعريفه
١٧٧	عوامل نشأته
١٨٠	آراء العلماء فيه
١٨٢	التضاد
١٨٢	تعريفه
١٨٣	آراء العلماء فيه
١٨٧	عوامل نشأته
١٨٩	الترادف
١٨٩	تعريفه
١٨٩	آراء العلماء فيه
١٩٨	أسباب نشأته
١٩٨	شروطه عند المحدثين
٢٠٠	من فوائده
٢٠٢	فهرس المراجع
٢١٣	فهرس الموضوعات

رقم الإيداع ١٩٩٦/٨.٩٧

I.S.B.N. الترقيم الدولي

977-19-1225-9

التوكس- للكمبيوتر وطباعة الأوفيس - طنطا